الضياء

مجلـة إسلاميـة ثقافية اجتماعية تصـدر عن دائـرة الشـؤون الإسلاميـة والعمـل الخيـري بـدبي
العدد ١١٥ ابريل - ٢٠١٠م - ربيع الآخر ١٤٣١هـ

المشرف العام
د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني
المدير العام لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

رئيس التحرير
سعيد خميس الرحومي

نائب رئيس التحرير
د. محمد أحمد القرشي

تنفيذي التحرير
محمد توفيق أحمد

هيئة التحرير
د. أحمد عبد العزيز الحداد
د. محمد عيادة الكبيسي
أشرف شبل
بهاء السنهوري
فاطمة دين أربابي

مراجع علمي ولغوي
سيد أحمد نورائي

التصميم والإخراج الفني
جمال الدين حلوم

صف وطباعة
كامل خالد حداد

مصور
خادم حسين

من المحرر

عطاء بلا حدود

الحمد لله الذي خلق الإنسان ووهبه العقل واللسان وعلمه البيان وأرشده إلى فضل القراءة وطلب العلم ونبذ الأمية والجهل وهو الذي أكرم جميع خلقه بهذا الكتاب الكريم قال تعالى: ﴿آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ (إبراهيم:١). وهو كتاب الله الخالد سراج العلم والهدى وبشير الفرج والأمل ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان رسول البيان لأهل البيان حاثاً إياهم على تعلم القرآن وتعليمه حيث قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، وقد أبدع رسولنا الكريم في وصف كلام ربه (وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء.. ولا تنقضي عجائبه) وهذا هو الحق بعينه فإن عجائب القرآن الكريم لا تنقضي وإن وجوه جماله لا تنتهي، وإنه للعلماء كالماء الزلال فهو بحر العلم والفكر والجود والجلال والكمال والحكمة يعطيك زيادة كلما طلبت منه معرفة يزيدك وجهه حسناً - إذا ما زدته نظرا وهكذا كانت حملة أهل القرآن العالمية التي أطلقتها الدائرة في الأول من أبريل من العام الماضي واستمرت حتى نهاية نوفمبر الماضي بذل وعطاء وتعزيز العمل بالقرآن الكريم من أجل خلق مجتمع أكثر وعياً بعلوم القرآن الكريم ونشر الثقافة الإسلامية بمختلف مجالاتها وعلومها على المستويين الداخلي والخارجي عبر إقامة المحاضرات والندوات والدورات والملتقيات والمسابقات لحفظ القرآن الكريم للذكور والإناث.

وعززت الحملة كذلك شراكتنا الاستراتيجية مع المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية.

سعيد خميس الرحومي
رئيس التحرير

الـرؤيـة

ثقافة إسلامية وسطية

الرسـالة

نشر الثقافة الإسلامية وترسيخ الهوية الوطنية من خلال رعاية المساجد والعناية بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي وإصدار الفتاوى والبحوث وتنمية العمل الخيري بمنهج وسطي بموارد بشرية متميزة ووفق أحدث النظم التقنية

www.iacad.gov.ae
Tel: +971 4 6087777 ■ Fax: +971 4 6087555 ■ P.O.Box 3135 Dubai, UAE

كلمة العدد

رسالة خالدةً على مر التاريخ

على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة، أرض الخير والنماء في ظل قيادتها الرشيدة استضافت إمارة دبي المؤتمر العالمي الذي يحمل رسالة خالدةً على مر التاريخ، (إن الدين عند الله الإسلام)، من لدن أبي الأنبياء ابراهيم عليه وعلى رسل الله وأنبيائه أفضل الصلاة والسلام.

(اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام).

من هذا المنطلق جاءت محاور هذا المؤتمر العالمي ليضم بين جنباته كوكبة نيرة من علماء العالم الإسلامي، والتي تحمل على عاتقها أمانة إيصال هذه الرسالة الخالدة إلى البشرية جمعاء دون غلو أو تطرف أو شطط، لأن كلاً منا يقف على ثغر من ثغور الإسلام.

إن المسؤولية جسيمة والعالم يعيش حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي والتربوي والاقتصادي إلى آخر هذه المنظومة من مشكلات الأفراد والشعوب والدول.

ولا نبالغ في القول أن كل هذه المشكلات أوجدت ولن تجد الحل إلا في هذا الإسلام، وهو الذي استطاع على مر التاريخ أن يعالجها في السلم والحرب في الأمن والأزمات.

إننا نعول على توصيات هذا المؤتمر الكثير بصدق النوايا وعظم المسؤولية للسير بهذه السفينة وليشهد التاريخ أن هذه الرسالة قامت بتقديم ما لديها في أسلوب يحمل الرحمة بكل معانيها لهذا الكون بكل مكوناته.

إننا اليوم مدعوون لتقديم الصورة الحضارية الإنسانية لهذا الدين في تسامح لاخضوع، في رحمة لا ذلة، لأن هذا الدين عزيز على كل مسلم وإن المسلم يطال عنان السماء متى ما كان هذا الإسلام وسيلته لبلوغ المعالي.

انعقاد هذا المؤتمر على أرض دبي وبرعاية كريمة من صاحبة السمو الشيخة هند بنت مكتوم بن جمعة آل مكتوم حرم صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي يعبر عن مدى حرص قيادتنا لأن تكون الانطلاقة من أرض دولة الإمارات العربية المتحدة لأنها أرض خير وسلام وأمن وأمان حيث استطاعت أن تقدم للعالم أجمع صورة مشرقة ومشرفة لهذا الدين وقيمه في كل دعوة لخصها القرآن الكريم (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) صدق الله العظيم

د. حمد بن الشيخ أحمد الشيباني

خارطة العدد

مؤتمرات وندوات	6-3
حضارة إسلامية	10-8
فقه وتشريع	15-11
علوم	23-16
اقتصاد إسلامي	31-24
حوارات	37-32
إدارة إسلامية	42-38
تراث إسلامي	53-48
ضياء الأسرة	58-54
ثقافة	61-59
فكر إسلامي	63-62

8 عطاء الآخر وإنجازه عند مؤرخي الإسلام

11 حرمة قتل النفس الإنسانية

14 المرأة والافتاء.. جدل لم يحسم بعد

24 حوار اقتصادي

28 موقف الإسلام إزاء الأزمات والضوائق العامة

32 نصف سكان العالم الإسلامي.. أميون!!

38 الإدارة في الإسلام

44 سيبستيان بلاسكو يروي قصّة إسلامه..

54 ماذا يريد منك ابنك؟

56 اختاري الجمال واربحي هذه المكاسب!

62 مراد هوفمان.. المفكر الألماني المسلم

64 لحظة تأمل

16 تلوث البيئة

22 محاكاة الطبيعة تفتح آفاقاً لتقنية جديدة

46 مِنْ تراث المغاربة بفرنسا: مسجد باريس الكبير

59 هل التمثيل ضرورة؟

4 السلام في الإسلام

برعاية محمد بن راشد.. مؤتمر السلام العالمي ينطلق من دبي

برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، انطلق مؤخرا مؤتمر دبي العالمي للسلام بحضور سمو الشيخ حمدان بن محمد ابن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي، رئيس المجلس التنفيذي.

السلام في الإسلام

برعاية محمد بن راشد.. مؤتمر السلام العالمي ينطلق من دبي

تغطية:
محمد توفيق، بهاء الدين السنهوري.

برعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، انطلق مؤخرا مؤتمر دبي العالمي للسلام بحضور سمو الشيخ حمدان بن محمد ابن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي، رئيس المجلس التنفيذي.

بالإضافة إلى حشد من المسؤولين والعلماء والدعاة المسلمين، من الدول العربية والإسلامية وعدد من الدول الأوروبية وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس والشيخ مشاري راشد العفاسي والداعية البريطاني يوسف استس.

وأكد المؤتمر الذي عقد بقاعة أرض المعارض بمطارات دبي.

أن الدين عند الله الإسلام منذ نزول آدم مروراً بأبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام والأنبياء جميعاً، وجاءت محاور هذا المؤتمر العالمي للسلام ليضم بين جنباته هذه الكوكبة الخيرة من علماء العالم الإسلامي والتي تحمل على عاتقها أمانة إيصال هذه الرسالة الخالدة إلى البشرية جمعاء دون غلو أو تطرف أو شطط، لأن العلماء يقف كل منهم على ثغر من ثغور الإسلام. فالمسؤولية جسيمة حيث يعيش العالم حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي والتربوي والاقتصادي إضافة إلى منظومة المشاكل الخاصة بالأفراد والشعوب والدول.

وكل هذه المشكلات التي وجدت ليس لها حل إلا في الإسلام، فهو الذي استطاع على مر التاريخ أن يعالجها في السلم وفي الحرب، وفي وقت الأمن والأزمات، فالتاريخ يشهد أن رسالة الإسلام قامت بتقديم ما لديها في أسلوب يحمل الرحمة بكل معانيها لهذا الكون بجميع مكوناته.

والمؤتمر بانعقاده في دبي يقدم الصورة الحضارية الإنسانية لهذا الدين في تسامح لا خضوع، وفي رحمة لا ذلة، وفق رؤية واستراتيجية حكومة دبي.

رسالة سلام إلى العالم عبر الإمارات

الإسلام هو دين السلام والرحمة للعالمين، داعياً حكماء العالم وقادته إلى أن يفهموا الإسلام كما جاء في القرآن والسنة.

والإسلام بريء من الإرهاب وقتل النفس المعصومة حتى وإن كانت تلك النفس من غير المسلمين، فالإسلام داعم للسلام حتى في حالة الحرب»، داع الأمة الإسلامية إلى أن تصطلح مع ربها ونفسها حتى تقدم الإسلام والسلام للعالم.

إن دولة الإمارات بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، هي دولة التسامح وترفع راية الأمن والسلام للبشرية، فهل من مجيب، فالأمة الإسلامية تمد يد السلام إلى العالم.

مكانة عالمية

دعا إمام وخطيب الحرم المكي، العالم إلى الاستفادة من أيادي قادة المسلمين في الإمارات والسعودية الممدودة إلى السلام وداعمة إلى أي مبادرة تحقق ذلك، مثنياً على نموذج الإمارات في التسامح والتعايش السلمي بين الجنسيات المختلفة.

وذكر أن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، له مكانة عالمية ومحبة عظيمة في صدور كثير من العالمين ويحظى بإجلال كبير لجهوده في تحقيق السلام العالمي، مستعرضاً العديد من المبادرات التي قام بها سموه خلال السنوات الماضية.

وأشار إلى أن رعاية سموه لمؤتمر دبي العالمي للسلام دليل ونموذج من النماذج المشرفة للخير والسلام على مستوى العالم.

ولفت فضيلته الأنظار إلى أن العالم يمر بتحديات كثيرة ومتنوعة وصراعات ولا يمكن أن يحلها ويعالجها ويضع الحلول الناجعة لها إلا الإسلام، مشددا على أن الإسلام أتى بالسلام للعالمين.

وقال فضيلته، نريد من السلام إنهاء الاضطرابات والإرهاب والعنف، لأن مثل هذه الصراعات تنهي الحضارات.

وذكر أن الحضارات القديمة نفسها بحثت عن السلام لأهميته في تحقيق الأمن لبشرية عانت من حروب طاحنة لم تحقق خيرا، ولذلك الإسلام جاء بالتعليم والبناء في عصرنا الحاضر، حيث توجد كثير من التحديات، فيرفع الإسلام والشرفاء في تلك الأمة راية السلام ونزع السلاح والحرص على الأمن الجماعي.

مشيراً إلى أن أهم ما يهدف إليه الإسلام ضمان الحقوق وتحقيق العدل والمساواة بين الشعوب ومعالجة العنف والإرهاب، فالإسلام دين الوسطية والاعتدال، مصداقاً لقوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

ورفض إمام وخطيب الحرم المكي، أن يكون الإسلام هو رفع السلاح في وجه الآمنين، فالإسلام هو دين الرحمة وليس الإرهاب، مستشهداً بقوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن».

ودعا فضيلته إلى الحوار مع الأديان الأخرى وليس الإرهاب، لافتاً إلى أن هذا الحوار لا يعني الخضوع أو الخنوع والذل للآخرين، رافضاً أن يكون ثمن ذلك الحوار هو التخلي عن الثوابت.

وشدد على أنه إذا أخطأت فئة من المسلمين، فليس هذا عيب في الإسلام وإنما عيب في أنفسهم وذواتهم، لأن هذا الدين يدعو إلى الأمن والأمان، منوهاً بأن الحرب أو الجهاد في الإسلام جاء ليدعو إلى الخير والمقاومة المشروعة، في ذات الوقت يدعو إلى عدم الخيانة وعدم التعرض لغير المقاتلين.

المؤتمر بانعقاده في دبي يقدم الصورة الحضارية الإنسانية لهذا الدين في تسامح لا خضوع، وفي رحمة لا ذلة

وقال: الجهاد في الإسلام دفاع عن النفس وليس تعطشاً للدماء، فالإسلام داعم للسلام حتى في حالة الحرب.

وانتهزت مجلة الضياء هذا الحشد العالمي من العلماء من مختلف أنحاء العالم لتجري هذا الاستطلاع :

يقول يوسف استس – الولايات المتحدة الأميركية
القرآن عبَّر عن الإسلام بالسلم

لهذا نقول أن الإسلام هو دين السلام حقاً، الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) السلم هنا هو الإسلام، عبَّر عن الإسلام بالسلم لأنه سلام للإنسان .. سلام له في نفسه سلام له في بيته، سلام له في مجتمعه سلام له فيمن حوله، هو دين السلام، من أسماء الله تعالى في الإسلام «السلام» الله تعالى هو (الملك القدوس السلام) ولذلك اشتهر المسلمون بين الأمم أن فيهم هذا الاسم «عبد السلام» أي عبد الله - الله هو السلام والجنة دار السلام - (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) «دار السلام»، وتحية المسلمين في الدنيا والآخرة السلام، يلقى المؤمن أخاه

المؤمن لا يعيش، وحده بل يعيش مع ربه ويشعر بهذه المعية بأن الله معه حيثما كان

فيقول له «السلام عليكم» ويرد عليه «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» وفي الآخر (تحيتهم يوم يلقونه سلام) والمسلمون إذا حاربوا يستجيبون لدعوة السلام إذا كانت في موضعها (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم). الإسلام دين السلام ويبدأ السلام أول ما يبدأ في نفس الإنسان المؤمن إذا أردت أن تقيم سلاماً فابدأه من الفرد .. من اللبنة الأولى، من البذرة الأولى، أقم السلم في نفس الإنسان، في ضمير الإنسان في كيان الإنسان الداخلي الباطني حتى لا يحدث نزاع بينه وبين نفسه صراع بينه وبين فطرته أطفئ هذه الحرب، أقم سلاماً داخلياً في نفس كل مؤمن وهذا ما صنعه الإسلام، الإسلام أقام هذا السلام النفسي بعقائده التي لا نظير لها.

عبدالرحيم قرين - بريطانيا
الإسلام أقام السلام النفسي بعقائده

وأول هذه العقائد الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى، والإيمان بوحدانيته أنه رب كل شيء وخالق كل شيء ومدبر كل أمر ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ وأن تؤمن بأن له الكمالات العلا والأسماء الحسنى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ فهو العليم الحكيم وهو الرحمن الرحيم وهو البر الكريم وهو الرازق والمحيي والمميت وهو الملك القدوس السلام، أسماؤه الحسنى هذه العقائد هي التي تقيم هذا السلام في ضمير الإنسان المؤمن. المؤمن يجد هذه الراحة وهذا السلام في فطرته فكل مولود يولد على الفطرة على المعرفة بالله على الإيمان بالله على وحدانية الله فطرة الله التي فطر الناس عليها (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) ليست هذه من صنع الإنسان ولا من تلقين الإنسان ولا من التعليم المكتسب للإنسان لو تركت الإنسان وحده لابد أن يفكر في هذا الأمر سيجد أن في فطرته جوعاً لا يشبعه إلا المعرفة بالله وفيه ظمأ لا يرويه إلا المعرفة بالله وفيه وحشة لا يؤنسها إلا المعرفة بالله عز وجل وفيه فراغ لا يسدُّه إلا المعرفة بالله سبحانه وتعالى، فطرة .. الإيمان بالله تعالى فطرة، حتى أن أحد الملاحدة العرب قال كلاماً مرة في غاية القوة والمنافق كما جاء عن معاذ رضي الله عنه، قد يقول كلمة حق، قال: «لا تصدقوني إذا شككت في الإيمان أو شككت في وجود الله، الحقائق أقوى من الألفاظ والكلمات أتصدقوني إذا قلت لكم إني لست حياً وأنا أمامكم أتكلم وأسمع وأبصر لا تصدقوني إذا شككت في الإيمان، الإيمان أقوى مني، إن إيماني يساوي وجودي، أنا مؤمن إذن أنا موجود، أنا أفكر إذن أنا مؤمن، أنا إنسان إذن أنا مؤمن» هذا ما قاله هذا الملحد المعروف كلمات حق نطق بها «إيماني يساوي وجودي .. أنا مؤمن إذن أنا موجود».

سيد راكديه - كندا
الإسلام دين الفطرة

الإنسان لا يمكن أن يتخلى عن الإيمان وإذا تخلى عن الإيمان بحث له عن إيمان آخر وإذا تخلى عن رب الأرباب بحث له عن أرباب أخر يعبدهم من دون الله عز وجل، وهذا ما رأيناه ولذلك رأينا الملحدين دائماً مشركين يشركون مع الله آلهة أخرى، والإلحاد ضد الفطرة، الفطرة تعني الإيمان، الإلحاد خروج على الفطرة ولذلك كان الملاحدة طوال التاريخ قلّة لا يقام لها وزن وكانت دعوات النبيين ضد الشرك .. كل الأنبياء كانت دعوتهم الأولى ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فكانت فتنة الأقوام والأمم هي الإشراك بالله تعالى وليس الكفر بوجود الله عز وجل، فالذين ينكرون وجود الله هم مماورن بالباطل مشككون في الحقائق ومن هنا نقول إن الإيمان يشبع هذه الفطرة التي تتطلب معرفة إله فوق هذا الكون يسيِّره ويدبره وبهذا يستريح الإنسان المؤمن إذا هدي إلى فطرته ولم يتنكر لهذه الفطرة وهو بهذا يجيب عن الأسئلة القديمة الجديدة التي حيرت الإنسان منذ بدأ يفكر من قديم وهي الأسئلة الخالدة من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ من أين جئت وجاء هذا الكون من حولي؟ من الذي أوجد هذا العالم الكبير علويه وسفليه؟ من الذرة إلى المجرة .. من أين وإلى أين؟ .. بعد هذه الحياة الحافلة بالخير والشر والحلو والمر والحسنات والسيئات والسراء والضراء إلى أين بعد ذلك؟ .. سنموت .. هل الموت هو نهاية المطاف أو بداية لرحلة أخرى هل خلقنا لهذه الأيام ثم بعد ذلك ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، أهذه هي الحياة وقصتها؟! أم أن وراء هذه الحياة حياة أخرى وخلوداً أبدياً يخلد الإنسان فيه بعمله؟ الملحدون ظنوها حياة قصيرة يخلق الإنسان من التراب ويأكل من التراب ويمشي على التراب ثم يدفن في التراب، وانتهت القصة (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) أما المؤمنون فعرفوا أن الموت ما هو إلا رحلة جديدة إلى حياة جديدة كما قال الشاعر الصالح:

وما الموت إلا رحلة غير أنها
من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وكما قال عمر بن عبد العزيز «إنكم خلقتم للأبد وإنما تنقلون بالموت من دار إلى دار» المؤمن إذن لا يعيش هذه الحياة القصيرة إنه يعيش مع الخلود إن عمره ممتد، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، حياته ليست في هذا الزمن القصير وعمله ليس في هذه الأيام المحدودة إنه يعتقد أن لهذا العمل ثمرات في دار أخرى هي دار البقاء ودار الخلود.

محمد أكبر - الهند
المؤمن يزداد قوة بالإسلام

والمؤمن لا يعيش وحده إنه يعيش مع ربه يشعر بهذه المعية أن الله معه حيثما كان .. شرَّق أو غرَّب أغور أم أنجد أيمن أم أشأم ذهب إلى الشمال أو عاد إلى الجنوب، حيثما كان فالله مع (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)، (وهو معكم أينما كنتم)، (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) يشعر بهذه الصحبة بهذه المعيّة .. معيّة التأييد والنصرة، فيزداد قوة على قوة وطمأنينة على طمأنينة مهما ألمّت

به الحوادث ومهما ادلهمَّت من حوله الخطوب وتتابعت عليه الكروب فإن معية الله تؤنسه في الوحشة وتنير له الظُلمة. انظروا إلى سيدنا موسى عليه السلام حينما جاء فرعون بجنوده يتبعه هو وبني إسرائيل حتى أوشكوا أن يمسكوا بهم وقال أصحاب موسى حينما رأوا هذا .. البحر أمامهم والعدو من خلفهم ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدرَكون﴾ سيدركنا فرعون وجنوده لا محالة ﴿إنا لمدرَكون﴾ ماذا قال موسى عليه السلام ﴿قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾ لن يدركنا فرعون ولا جنود فرعون ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ سيهديني إلى حل لقد تذكّر هذه الوصية الإلهية حينما أرسله الله هو وهارون إلى فرعون وقال ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ وقال ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ لم ينس موسى هذه الكلمة ﴿إنني معكما﴾ فقال ﴿إن معي ربي سيهدين﴾ وهداه الله قال ﴿اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ وكانت نجاة موسى وغرق فرعون، ووقع مثل هذا لسيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم حين أذن الله له بالهجرة دخل الغار وأراد أن يعمِّي عليهم فدخل غار ثور هو وصاحبه أبو بكر وذهب القوم يبحثون عن محمد وصاحبه حتى وصلوا إلى الغار ووقفوا على باب الغار وأبو بكر مشفق خائف حزين يقول: «يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» فيقول النبي صلى الله عليه وسلم في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا» أنزل الله سكينته عليه وأيَّده بجنود لم تروها، هذه السكينة «سكينة النفس» هي ثمرة من ثمرات الإيمان والشعور بمعية الله عز وجل «الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا» وفعلاً كان الله معهما وأيدهما بجنود لم يرها الناس.

إنما المؤمنون إخوة

المؤمن يشعر بمعية الله تبارك وتعالى فلا يحزن إذا حزن الناس، ولا يسخط إذا سخط الناس ولا ييأس إذا يئس الناس بل يعتقد أن الله معه ومن كان الله معه فلن يضيع، لن يضيع إنسان ربه معه، رب السموات والأرض وله جنود السموات والأرض (وما يعلم جنود ربك إلا هو) المؤمن يشعر بمعية الله ويشعر بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه لا يعيش وحده إنه يعيش في قافلة كبيرة عنده في التاريخ، تاريخه ليس تاريخ شخص ولا تاريخ جماعة ولا تاريخ أمة هو تاريخ الإيمان منذ بعث الله النبيين مبشِّرين ومنذرين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تاريخ طويل حافل ممتد الجذور، غائر في الأعماق، إنه يعيش مع المؤمنين حيثما كانوا مع النبيين إنه يعيش مع إبراهيم حينما دخل النار، وقال الله لها (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) يعيش مع موسى ويعيش مع يوسف ويعيش مع الأنبياء جميعاً ويعيش مع خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الغر الميامين، يعيش في صحبة هؤلاء جميعاً فيشعر بالأنس أنه ليس وحده، هذه القافلة الإيمانية هم أخوة له (إنما المؤمنون إخوة). أسلم رجل أمريكي منذ سنوات وشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، سألته: ماذا كسبت من هذا الإسلام قال: كسبت الهداية، قلت: نعم الهداية وكسبت كذلك أخوة أكثر من ألف مليون مسلم في العالم هؤلاء كلهم أخوة لك يحبونك ويتمنون لك الخير ويدعون لك، أخوَّة هذه الملايين من تعرفهم ومن لا تعرفهم أنت تصحبهم، هي صحبة روحية، ليسوا معك ولكنهم معك يدعون لك، «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» نحن ندعو لمن سبقنا، وندعو في كل خطوة: «اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات»، هذه قوة روحية، مكسب ليس بالبسيط ولا بالهيِّن أن تعيش في صحبة هذه الملايين ومئات الملايين من البشر.

كل ما في الكون مسخَّر للإنسان

بل المسلم المؤمن يعيش في صحبة الوجود كله يأنس بالوجود كله علويِّه وسفليِّه كل هذا الكون يؤنسه ليس هناك شيء عدو له، الله سخر له هذا الكون بسماواته وأرضه وشمسه وقمره ونجومه وليله ونهاره وأنهاره وأبحاره (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الكون مع الإنسان المؤمن إنه ساجد لله كما تسجد (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض) إنه مسبح بحمد الله كما تسبح (يسبح له ما في السموات والأرض)، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) هذا الكون ساجد مسبح بحمد الله فهو معك وهو لك إذن .. ليس عدواً لك، الغربيون يقولون عن انتصارهم في علوم الطبيعة يقولون قهرنا الطبيعة، الإنسان استطاع بالعلم الحديث أن يقهر الطبيعة كأنها عدو تحاربه ويحاربها فهو يقهرها وينتصر عليها، الإسلام لا يعتبر الطبيعة عدواً، الطبيعة من خلق الله هي مسخرة للإنسان والنبي صلى الله عليه وسلم عبر عن هذه العلاقة الودودة بين الإنسان وما حوله حينما قال عن جبل أحد «هذا جبل يحبنا ونحبه» هذا مع أن المسلمين انكسروا بجوار أحد في غزوة أحد ولكن هذا لم يرث، النبي صلى الله عليه وسلم ضد هذا الجبل فهو جبل يحبنا ونحبه، هذا هو الإنسان المؤمن، الملائكة جند الله المبثوثون في هذا الكون في سماواته وأرضه، هؤلاء مع المؤمنين، الله سبحانه وتعالى سخرهم ليدعوا للمؤمنين ويستغفروا للمؤمنين، هذا الجند الهائل الذي لا يحصيه إلا الله يقول الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِهم عذاب الجحيم) يستغفرون للذين آمنوا .. الملائكة تستغفر المؤمنين وتدعو لهم (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم × ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم، وقِهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) الملائكة مشغولون بالدعاء للمؤمنين، أي فضل أعظم من هذا الفضل، المؤمن يعيش في هذه المعاني، في هذه المشاعر في هذا الجو المليء بالنفحات، في هذا الجو الرباني، هذا هو السلام الحقيقي.

سكينة النفس.. هي ثمرة من ثمرات الإيمان والشعور بالطمأنينة

عطاء الآخر وإنجازه عند مؤرخي الإسلام

بقلم:
د. عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين أول
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

عاش الناس في ظل الإسلام آمنين - على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم - وفي هذه البيئة الآمنة أعلنَ كلُ ذي موهبة عن موهبته، وكل ذي إبداع عن إبداعه ، وكل ذي علم عن علمه.

وكان من مزايا التدوين التاريخي الإسلامي أنه رصد أعمال كل العاملين - من غير تمييز بين مسلم وآخر غير مسلم – ولهذا صرنا نرى تراجم معرِّفة تعريفاً ممتازاً بكل أبناء المجتمع، وبكل ما قدموه من عطاء معنوي وإنجاز مادي.

إن هذه النظرة العادلة تكشف مدى الانصاف الذي اتسمت به جهودُ علماء المسلمين في تاريخهم لأعصارهم وأقطارهم، وتكشف مدى التعايش الذي اتسمت به الحياة الإسلامية.

بل تجاوز العلماء هذا إلى أعمال أخرى ذات أهمية خاصة، وهي رصدُ أعمال علماء الأمم السابقة وتدوينها والتعريف بها، وهذا كذلك يؤكد ميزة الإنصاف المذكورة، فهم لم يغمطوا حق أحد ولم يهضموه.

إن هذا يكشف عن منهج رائع في تقدير العلم والعلماء أين كانوا وكيف كانوا، ويظهر علاقات العلماء – برغم اختلافهم – وتعايشهم جنباً إلى جنب، في وقت تتعرضُ فيه جهود الحضارة الإسلامية إلى محاولات طمس وتشويه وإقصاء وتغييب غريبة! وبذلك يتبين الفرق الكبير بين هذين المنهجين.

والواقع أن استيعاب الكلام على مؤرخي الإسلام كلهم يطول جداً، لهذا سأقتصر على نماذج بارزة منهم كابن النديم، وابن جلجل، وصاعد الأندلسي، والبيهقي، ومبشر بن فاتك، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن الساعي، والشهرزوري، وابن فضل الله العمري - وهؤلاء العشرة عاشوا ما بين القرن الرابع الهجري إلى الثامن - فأقول:

من أشهر مؤرخي العلوم محمد بن اسحاق النديم (كان حياً سنة ٣٧٧هـ) وكتابه الفهرست من أشهر الكتب، وقد جعله عشر مقالات، خصص المقالة السابعة لأخبار الفلاسفة الطبيعيين، والمنطقيين، وأسماء كتبهم، ونقولها وشروحها، والموجود منها، وماذكر ولم يوجد، وما وُجدَ ثم عُدِم.

وفي هذه المقالة ذكر أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي، وأسماء النقلة من الفارسي إلى العربي، ونقلة الهند والنبط، وأول من تكلم في الفلسفة، ثم ذكر افلاطون، وأرسطاليس وكتبه، وهكذا غيرهما من الفلاسفة على حسب زمانهم، ثم ذكر أسماء فلاسفة طبيعيين لا تعرف أوقاتهم ولا مراتبهم، وبعدهم ذكر الكندي وكتبه، وهكذا إلى أهل عصره.

وفي الفن الثاني من هذه المقالة تكلم على أصحاب التعاليم المهندسين، والأرثماطيقيين، والموسيقيين، والحسّاب، والمنجمين، وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات، وبدأ بالكلام على إقليدس وكتابه في أصول الهندسة ونقله إلى العربي، ثم ثنى بأرشميدس، وهكذا إلى أن وصل إلى طبقةِ مُحدَثين من المهندسين على حسب زمانهم.

وتناول في الفن الثالث من هذه المقالة أخبار المتطببين القدماء والمحدثين، وأسماء ما صنفوه، وبدأ ببقراط رأس الأطباء، وذكر أسماء كتبه ونقولها وشروحها وتفاسيرها: الموجود منها بلغة العرب، ثم ذكر أرجيجانس، ثم جالينوس وسمى كتبه ونقولها وشروحها، وبعد أن فرغ من هؤلاء ذكر المحدثين وكتبهم إلى زمنه.

وخصَّ المقالة العاشرة - وهي الأخيرة - من كتابه لأخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمُحدثين، وبدأ بهرمس البابلي، وخَتَمَ بالخَنْشَليل (أحمد أبي الحسن) صديقه.

ابن جلجل

كان هذا في المشرق، وفي السنة المذكورة نفسها (٣٧٧) كان سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل يُؤلف في المغرب كتابه «طبقات الأطباء والحكماء» وقد رتب كتابه على الطبقات الآتية -أنقلها بتعبيره هو-:

- ذكر الطبقة العالية الأولية ممن تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية.
- الطبقة الثانية الحكمية الرومية اليونانية ممن تكلم في الطب والفلسفة وبرع في ذلك.
- الطبقة الثالثة من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس ممن شهر في الطب والفلسفة.
- الطبقة الرابعة من حكماء اليونانية ممن تكلم في الدولة القيصرية بعد بنيان روما.
- الطبقة الخامسة من الحكماء الاسكندرانيين.
- الطبقة السادسة ممن لم يكن في أصله رومياً ولا سريانياً ولا فارسياً.
- الطبقة السابعة من حكماء الإسلام ممن برع في الطب والفلسفة، منهم إسلام ومسيحيون.
- الطبقة الثامنة من حكماء الإسلام ممن سكن المغرب.
- الطبقة التاسعة الأندلسية، الحكمية منهم والطبية.

وقد بلغ عدد التراجم في هذه الطبقات التسع (٥٧) ترجمة، لعلماء قبل الإسلام وبعده: مسلمين وغيرمسلمين.

صاعد الأندلسي

وجاء بعدهما القاضي صاعد بن أحمد الاندلسي (ت: ٤٦٥هـ) وألف كتابه «طبقات الأمم» وقال في مقدمته: (زعم من عُني بأخبار الأمم، وبحث عن سائر الأجيال، وحقق عن طبقات القرون أن الناس كانوا في سالف الدهور وقبل تشعب القبائل وافتراق اللغات سبع أمم) وعددها وهي:

١- الفرس.
٢- الكلدانيون وهم السريان والبابليون.
٣- اليونانيون والروم والإفرنجة.
٤- القبط.
٥- أجناس الترك.
٦- الهند والسند.
٧- الصين.

وهو يقسم هذه الأمم على طبقتين: طبقة عُنيت بالعلم فظهرت منها ضروبُ العلم وصدرت عنها فنون المعارف. وطبقة لم تُعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه...

والطبقة الأولى ثمانية أمم: الهند والفرس والكلدانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب وبنو إسرائيل.

وقد فصل القول على هذه الأمم واحدةً بعد أخرى على هذا الترتيب المذكور، وذكر علومها وإنجازها وما قدمته للبشرية، وفي كلامه على العرب ذكر مَن عرف في الدولة العباسية من المسلمين عربياً كان أو عجمياً بشيء من علوم الفلسفة، ثم تكلم على العلوم في الاندلس.

وقد أفاد من ابن النديم وغيره، وحالفه التوفيق كثيراً في رصده للأمم وعلومها واهتماماتها، بحيث قدم تاريخاً علمياً للبشرية في غاية الصدق والانصاف.

البيهقي

وفي القرن السادس كتب ظهير الدين البيهقي (ت:٥٦٥هـ) كتابه (تتمة صوان الحكمة) المطبوع باسم (تاريخ حكماء الإسلام)، وفي الكتاب (١١١) ترجمة، وقد بدأ هؤلاء الحكماء بـ (حُنين بن اسحاق) وختم بـ (إسماعيل بن الحسيني الجرجاني الطبيب) الذي رأه بسرخس سنة (٥٣١). ولا يخفى ما في هذا الافتتاح من اعتراف بالآخر وتنويه بأثره وجهده.

مبشر بن فاتك

وفي هذا القرن كتب الأمير المبشِّر بن فاتك (ت:٥٨٩هـ) كتابه (مختار الحكم ومحاسن الكلم) وقد اختار فيه من أقاويل الحكماء اليونانيين، ومواعظ العلماء المتقدمين ما رآه نافعاً في عاجل أو آجل، واعتمد في ذلك على انتخاب كلام الالهيين منهم، الموحدين من جملتهم، وأتبعهم باللاحقين بهم في الحكمة، المشهورين بالأفعال الحسنة كما قال في مقدمته، وأضاف قائلاً: (ولم يمنعني اختلاف مذاهبهم وتباين طرقهم وتقادم عهدهم من أن استمع أقاويلهم وأتبع أحسنها).

وهذا الكتاب وإن لم يكن كتاب تراجم، إلا أنه حفظ جملة كبيرة من الأقوال الرائعة لهؤلاء الحكماء، وهو يظهر جانباً مهماً من جوانب عطائهم وإنجازهم للإنسانية.

القفطي

وفي القرن السابع ألف القفطي كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) وقد احتوى هذا الكتاب على تراجم لعصور ما قبل الإسلام، وما بعده، إلى عصر المؤلف الذي ولد سنة (٥٦٨هـ) وتوفي سنة (٦٤٦هـ) وقد رتب الأسماء على الحروف كما قال في مقدمته: (وقد قفيته ليسهل تناوله) وبذلك اختلطت التراجم، ولم تتميز العصور، ولم تعرف الطبقات، وتقدم الابن على أبيه، والتلميذ على شيخه، وغابت معالم نشأة العلوم المقصودة وسير تطورها.

ولتتضح الصورة قمت بقراءة الكتاب، ورقمته، وميزت بين رجاله بصنع جداول على حسب الزمان والانتماء الديني، وخرجت بهذه النتائج:

بلغت تراجم الكتاب (٤١٩) ترجمة، منها (١١٧) ترجمة لحكماء كانوا قبل الإسلام.

يلحق بهؤلاء (١٢) ترجمة لحكماء كانوا في صدر الإسلام والدولة الأموية، وليسوا بمسلمين، والمجموع (١٢٩).

التراجم الباقية وهي (٢٩٠) ترجمة لحكماء عشوا من أول العصر العباسي إلى آخره، إذ توفي المؤلف قبل سقوط بغداد بعشر سنوات.

نحذف من هؤلاء (٢٠) ترجمة لحكماء لم أستطع الجزم بانتمائهم الديني، فيبقى لدينا (٢٦٨) ترجمة، وهذه التراجم موزعة كالآتي:

(١٦٩) ترجمة لحكماء مسلمين.
(٧٢) ترجمة لحكماء من النصارى.
(١٧) ترجمة لحكماء من اليهود.
(١٠) تراجم لحكماء من الصابئة.

وإذا جمعنا غير المسلمين هؤلاء إلى الذين كانوا في صدر الإسلام والدولة الأموية بلغ العدد (١١١) تراجم مقابل (١٦٩) ترجمة للمسلمين، وهذا عدد كبير يدل بكل تأكيد على إنصاف مؤرخي الإسلام واعترافهم بفضل الآخر وعطائه وإنجازه، وعدم شعورهم بأي غضاضة من التعريف به والإشادة بعلمه وفضله وخدمته للعلم والإنسانية.

ابن أبي أصيبعة

وبعد القفطي ألف ابن أبي أصيبعة (ت:٦٦٨هـ) كتابه الكبير العظيم (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) وهذا الكتاب بحاجة إلى دراسة جادة متأنية تكشف عن أسلوبه ومصادره وفوائده وإضافاته، وقد أفاد من كثيرين منهم القفطي، وفيه نقل عنه لا يوجد في (أخبار الحكماء) المطبوع، ورتب كتابه على خمسة عشر باباً، أورد فيها تراجم الأطباء على حسب أزمانهم وبلدانهم وانتمائهم، وقد تجاوز العدد عنده عدد مَنْ تقدمه بكثير.

ونجد في آخره ذكر وفيات في ٦٨١ و٦٨٥ مما يدل على أن أحداً غيره أضافها عليه، وآخر ترجمة فيه لتلميذٍ له نصراني.

ابن الساعي

ومن مؤرخي هذا القرن: المؤرخ الشهير ابن الساعي البغدادي (ت: ٦٧٤هـ)، وله كتب كثيرة منها: (الدر الثمين في أسماء المصنفين) وهو يؤرخ لمن له تصنيف من العلماء، ومع أن هذا الكتاب وصل إلينا ناقصاً إذ لم يعثر إلا على المجلد الأول منه فإننا نجد فيه ترجمة لطبيب مصنف من غير المسلمين هو سعيد بن المسيح المعروف بالكرماني الحكيم النصراني (ت:٥٦٨هـ).

الشهرزوري

ومنهم الشهرزوري الذي كتب سنة (٦٨٧هـ) كتابه (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) الذي عرف فيه بـ(١٣٢) حكيماً، منهم (٤٠) حكيماً قبل الإسلام، و(٩٢) حكيماً بعده، وفي هؤلاء المسلم وغيره، وقد بدأ بـ(حنين بن إسحاق) كما فعل البيهقي.

ابن فضل الله العمري

وجاء في القرن الثامن ابن فضل الله العمري (ت:٧٤٩هـ) وألف كتابه الكبير (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) وخصص السفر التاسع منه لتراجم الحكماء والفلاسفة، وقد بلغ عدد التراجم عنده (١٩٣) ترجمة لاقتصاره على الأعيان، وعرّف بمنهجه في مقدمته فكان من ذلك قوله: (نذكرهم على اختلاف فرق مللهم ونحلهم وبلادهم وتلادهم) ودلالة هذا القول واضحة لا تحتاج إلى تعليق.

أَنْتَقِلُ بعد هذا لأشير إشارات سريعة إلى تعايش العلماء وعلاقات بعضهم ببعض، وأكتفي بإحالتين:

الأولى إلى الترجمة التي كتبها القفطي (وهو مصري عاش في حلب) لصديقه الطبيب يوسف بن يحيى السبتي الفاسي اليهودي نزيل حلب المتوفى فيها سنة (٦٢٣هـ)، وجاء فيها قوله عنه ص(٢٥٧): (كان ذكياً حاد الخاطر، وكانت بيننا مودة طالت مدتها) وحكى عنه حكاية غريبة، ونقل عنه في موضعين من كتابه ص(١١٥) وص(١٥٤).

والإحالة الثانية إلى الترجمة التي كتبها ابن الساعي لسعيد بن المسيح الكرماني الحكيم النصراني، فقد قال عنه: «كان شيخاً فاضلاً، أديباً، عاقلاً، رئيساً... وأظن أنه كان يحفظ القرآن المجيد، سألته مرة عن مولده فقال: ولدت في سنة ٥٤٩، وولد أخي أبو علي في سنة ٥٥٩، وولد أخي أبو الفضل الجاثليق في سنة ٥٦٩، وقال لي: لا تأخذ عليَّ كونك سألتني عن شيء فأجبتك عنه زيادة على سؤالك، فقد نطق كتابكم العزيز بمثل ذلك في قول الله جل اسمه ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾، فقلت له: ما أحسن ما قد اتفق أن بين كل واحد منكم وبين أخيه عشر سنين، وما أعرف ما يشبه ذلك إلا علياً عليه السلام وأخويه جعفراً وعقيلاً، فإن بين كل واحد منهم وبين أخيه عشر سنين. فقال لي: والله لقد سررتني كوننا أشبهنا أولئك السادة» ثم ذكر ابن الساعي من كتبه: الاقتضاب في الطب، وكتاب منتخب الاقتضاب. الدر الثمين (١/ ٣١٢-٣١٣).

تلك لمحات دالة في هذا الموضوع المهم (عطاء الآخر وإنجازه عند مؤرخي الإسلام) يتبين منها الانصاف العظيم الذي تحلت به الحضارة الإسلامية في نسبة كل فضل إلى صاحبه، وإظهاره والتنويه به، والتعايش الذي كان يسود المجتمعات الإسلامية، والنماذج كثيرة لا يتسع المجال لبسطها.

حرمة قتل النفس الإنسانية

بقلم:
د. السيد محمد المسيري
أستاذ الفقه والتشريع بجامعة الأزهر

في إطار غياب الوعي الديني في الأسرة، وفي مختلف منعطفات التعليم، وفي صفوف الشباب، وإنتشار الفكر الفعال المنحرف، وفي إطار تزايد تفشى ظاهرة البطالة بينهم، وشعورهم بالإحباط الكبير، واليأس الشديد في عدم تحقيق طموحاتهم الحياتية، والمستقبلية في الزواج أو الحصول على شقة أو وجود فرص عمل امامهم، وفي إطار شعورهم العميق بأنهم عالة على أسرهم، وعجزهم التام عن مساعدتهم والوقوف بجانبهم، وفي إطار إنتشار المساكن العشوائية الخالية من المرافق الصحية، والتي تأوى المتهربين من الأحكام القضائية والعاطلين عن العمل، وإنتشار ظاهرة (إدمان المخدرات Drug addication) بكل أنواعها المتعارف عليها في بعض الدول العربية

في ظل هذه الأطر المتقدمة الذكر، تطالعنا معظم الصحف والمجلات العربية وبعض البرامج التليفزيونية، ومعظم وكالات الأنباء العربية والعالمية عن عمليات قتل كثيرة، ومتعددة في بعض دولها كقتل أب لأسرته، وكقتل ابن لوالده وأشقائه ولوالدته، وكقتل زوجة لزوجها، والتمثيل بجثته أو حدوث قتل العمد للآخرين أو الأقدام على الإنتحار (Sucide) أو الأخذ بالثأر أو إقدام بعض المتشددين الإسلاميين ببعض العمليات التفجيرية من بعض المنشآت الحكومية والمدنية في بلدانهم، أو قتل الآخرين بغير حق، وبدون أي ذنب اقترفوه أو أي إثم إقترفوه أو أي جرم ارتكبوه. وبالتالي، ترتب على إثر كل هذه العمليات التفجيرية سقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى، وإثارة حالة من الخوف، والرعب، والفزع من نفوس شعوب هذه الدول، وعدم إستقرارها. فضلاً على حدوث اضرار بالغة جسيمة في المباني والمؤسسات التي تم تدميرها. وهذا التدمير في قوامه صورة من صور الجرائم الإرهابية (Terrorism Crimes) والتي تعرف في المصطلح الإنجليزي الفرنسي بكلمة (Sabotage) أي الإتلاف.

مفهوم النفس الإنسانية

يفهم بالنفس الإنسانية النفس التي كرمها الحق تبارك وتعالى، وجعلها خليفة له في هذه الأرض لتعميرها حتى تكون امتدادًا لقدرته. وكان هذا في واقعه اعظم تكريم رباني لها دون المخلوقات جميعاً امتثالاً إلى قوله تعالى: (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) سورة الإسراء، الآية: ٧٠(١). ويقول الله عز وجل في آية آخرى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) سورة التين، آية: ٤(٢). لذا، كرم الحق جل ثناؤه الإنسان كإنسان من غير اعتبار آخر من دين أو لغة أو جنس أو وطن. فالناس جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات أمام خالقهم، وأمام سلطة قانون الدولة التي يقطنون ارضها ويعيشون عليها وبشأن ذلك، يقول: أصدق الصادقين حتى مصدق آيات كتابه المبين ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ سورة الحجرات، الآية: ١٣(٣). ويقول: أحكم الحاكمين في محكم آيات كتابه الحكيم أيضاً (يا أيها الناس اتقوا

ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) سورة النساء، الآية: ١(٤). ومن أجل تكريم النفس الإنسانية، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم لجنازة يهودي عندما مرت أمامه، وعندما قال له أحد أصحابه: إنها جنازة يهودي يا رسول الله: قال: أو ليست نفساً خلقها الله). وبالتالي، كان الكون بأثره في خدمة هذا الإنسان، ومذللاً له. فلو قدر الناس هذه الكرامة الإنسانية حق قدرها لصانوا دماءهم البريئة من أن تسفك.

حرمة الدم المعصوم

إن انتهاك حرمة هذا الدم المعصوم للنفس الإنسانية من أفظع الجرائم، وأشنعها، وأشدها خطراً، وفتكاً، وتهديداً على المجتمع ككل، وعلى كيانه، وبنائه، وفي حريته، وتفكيره، وفي إنشائه وتجديده، وتنذر بالوهن، والشقاء، والانحلال، والفناء. ومن ثم، فهي مقدسة في شرع الله جل علاه حيث اوجب حمايتها، والمحافظة عليها، والدفاع من أجلها لكون الإعتداء عليها ظلم، وقتلها حرام، واستحلال دمها بغير حق كفر، ومن يستبيح له ذلك، إنما ارتكب جرما عظيماً في حق الإنسانية كلها، وارتكب في نفس الوقت كبيرة من أكبر الكبائر لكونه خرج من قوانين خالقه، وتعدى كل الحدود، وإستباح الحرمات التي حرمها الحق عز وجل، وجاهر ربه بالمعصية، وخالف الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وفي هذا الشأن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله له(٥). وجاء في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة، وإذا دفع شيء في هذه الثلاث، فليس لأحد من الرعية أن يضله، وإنما يرجع ذلك إلى الإمام ونائبه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اعان دم امرئ مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله). وقال أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع: (ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا هل بلغت) رواه الشيخان وغيرهما (٦). وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن أهل السماء والأرض إشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار) رواه الترمذي(٧). وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم) رواه الترمذي والنسائي (٨). وفي هذا الخصوص، يقول رب العزة سبحانه وتعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) سورة الإنعام، أية: ١٥١ (٩). وحق النفس التي يحل قتلها بالحق كالقاتل لغيره لا يحل لنا كأشخاص أن نقتله أو نعتدي عليه، وإنما أرجع الشرع الحنيف ذلك إلى أولى الأمر والقضاء العادل.

توعد الله للقتلة

لقد توعد رب العالمين لأمثال هؤلاء القتلة الذين ارتكبوا عمليات هذا القتل الخطير، والزجر الشديد بالعذاب الأليم، وسوء العاقبة في أمر هذه الجرائم (Crimes) وبشأن هذا، يحدثنا الحق تبارك وتعالى إذ يقول وهو أصدق القائلين (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) سورة المائدة، آية: ٣٢ (١٠) ز ولذلك، سوف ينال هؤلاء القتلة من ربهم أشد أنواع العقاب يوم القيامة، وهم ملعونون، ومطرودون من رحمة الله تعالى، ومحرم عليهم جنته، ورضوانه وسوف يكونون مخلدون في نار جهنم وبئس القرار. وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم قسمة في يده يتجساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو متردد في جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) رواه البخاري(١١).

إنتهاك حرمة هذا الدم المعصوم للنفس الإنسانية من أفظع الجرائم، وأشنعها، وأشدها خطراً، وفتكاً، وتهديداً على المجتمع ككل

جزاء القتل العمد

بشأن جزاء هذا القتل، يقول الله عز وجل (من يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله، ولعنه، وأعد له عذاباً عظيماً) سورة النساء، آية: ٩٣ (١٢). ويقول اصدق الصادقين عز شأنه في آية أخرى (ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) سورة النساء، آية: ٣٠ (١٣). ولذلك، شرع الإسلام القصاص في حالة القتل العمد حتى يكف القاتل الذي قتل نفساً إنسانية أخرى عن استمرار قتله، وحتى يعلم علم اليقين أنه سوف ينفذ فيه حكم القصاص، وتقص رقبته ثمنا لحياة المجنى عليه الذي قتله. وبهذا القصاص ينهى ترويع نفوس أهل المجنى عليه من الحقد، ومن الأخذ بالثأر لقتيلهم. وفي هذا الشأن، يحدثنا أصدق الصادقين سبحانه وتعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) سورة البقرة، آية: ١٧٩ (١٤).

وبالتالي، جعل الإسلام لولى المقتول أن يعفوا عن حقه في هذا القصاص تقديما لحياة الإنسان في الحياة الدنيا لكون لهذه الإنسانية قيمتها واحترامها فيه، ومن ثم ليس بعد الكفر ذنب اعظم عند الله من قتل النفس، وإزهاق الروح، واهدار الدم حتى ولو كان القتل من الشخص نفسه كالإنتحار، وغيره مهما كانت دوافعه، وأسبابه لكونه في واقع الأمر لا يملك هذه النفس، وليس له أن

سبحانه وتعالى حرم قتل النفس الإنسانية لكونها من أعظم الكبائر التي يحرمها الدين الإسلامي

يتصرف فيها بالقتل، ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً شديداً، وعذاباً مقيماً من رب العزة سبحانه وتعالى.

هل للقاتل العمد توبه؟

لقد ذهب ابن عباس إلى أن من قتل مؤمناً متعمداً لا تقبل له توبة. وروى عنه: أنه قال: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي المقتول يوم القيامة معلقاً رأسه بإحدى يديه ملبباً قاتله بيده الأخرى تشخب او داجه دماً حتى يوقفا، فيقول المقتول لله تعالى: ربي هذا قتلني أو شاركه أو رضى بها كان شريكاً له في الإثم والعقاب). إلا أن الجمهور من سلف الأمة، وخلفها يرى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين خالقه إن توبة صادقة، مخلصاً النية فيها، وعمل عملاً صالحاً بها إبتغاء مرضات ربه، ورضوانه عليه تصديقاً لقوله تعالى: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) سورة الفرقان الآيات من ٦٨ إلى ٧٠(١٥). ولقوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) سورة الزمر، آية: ٥٣ (١٦). ولقوله عز وجل: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم إهتدى) سورة طه، آية: ٨٢ (١٧).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا: فقتله فكمل له مائة، ثم سأل عن اعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، فقال: انطلق إلى الأرض كذا، وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى ارضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى نصف الطريق آتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، قالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمى، فحكموه بينهم أي حكما، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة) رواه الإمام أحمد (١٨).

ولهذا، وبناء على السابق الذكر، فإن المولى سبحانه وتعالى حرم قتل النفس الإنسانية لكونها من اعظم الكبائر التي يحرمها الدين الإسلامي، ولكونها أيضاً تجسد الضعينة، وتنشر الخوف، وتمحص بالأمة كيانها، وتقطع أوصال الرحمة بها، ويفتك أواصر المودة، وروح الإخوة بين أركانها. ولذا، توعد الله عز شأنه هؤلاء القتلة الظلمة بأشد الوان العذاب، والعقاب عليهم. وليس غافلاً عنهم امتثالاً إلى قوله جل علاه (ولا يحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) سورة إبراهيم، آية: ٤٢ (١٩). وقوله تعالى (إنا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً) سورة الكهف، آية: ٢٩ (٢٠).

ولذلك، فحرمة قتل النفس الإنسانية في جوهرها من أخطر جرائم العصر الذي نعيشه، وعلى الناس جميعاً لكون تفشي هذه الجريمة في المجتمع من شأنها تقضى على أمنه، واستقراره، وسلامته. وبالتالي، فجزاء هؤلاء القتلة الذين يقتلون الآخرين بغير حق، ويردعونهم، ويسفكون دماؤهم هو الخزى والندامة في حياتهم الدنيوية والأخروية، وتنفيذ حكم القصاص الذي شرعه الإسلام بحقهم حتى يكونوا عبرة للآخرين. وعليهم أيضا أن يعلموا علم اليقين أنهم لن ينالوا من فعل ذلك، وهذا الفساد في الأرض لا يحقق الإخوة الإسلاميةولا يحقق الرابطة الدينية، ولا يحق خالقهم إلا سوى خلودهم في نار جهنم. ومن ثم، فآمل أن يتوب هؤلاء الجناه توبة خالصة للحق جل ثناؤه يرجون فيه عفوه، ورحمته حتى يعودوا إلى رشدهم وعقلهم، وصوابهم. وحتى يتم تحقيق ذلك، فأمل أيضاً من ولاة أمورنا الحكام، ومن علمائنا الأفاضل أهل العلم، والفكر، والبصيرة، والمشورة، أن يتداركوا معاً كل الأطر المشار إليها آنفا بحكمة وروية لكونها في مكمنها ادت إلى قتل المزيد، والكثير من زهق أرواح النفس الإنسانية بدون حق، وأدت أيضاً إلى ترسيخ، وتزايد فعالية الفكر المنحرف والضال بين أوساط عامة المسلمين، وبشكل خاص الشباب، وأن يضعوا حلولاً جذرية لما تقدم فحصه كعمل مشاريع إنتاجية صغيرة لهم، وتقديم شروط ميسره لمساعدتهم على العمل والإنتاج، وتبصيرهم بأمور دينهم ليصححوا المفاهيم المغلوطة المنحرفة عن يسر دينهم الإسلامي وتسامحه حتى يتم إقتلاع هذا السلاح الخطير من أنفسهم وأفكارهم لكونه الداهم علينا رويداً رويداً كما نسمع، ونشاهد قبل أن يزداد خطورته، ويعم ارجاء عالمنا العربي والإسلامي، ووقتها يؤمئذ لا تنفع أية لومة لا ئم.

الهوامش

١- سورة الإسراء، آية: ٧٠.
٢- سورة التين، آية: ٤.
٣- سورة الحجرات، آية: ١٣.
٤- سورة النساء، آية: ١.
٥- حديث شريف، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله له.
٦- حديث شريف، رواه الشيخان وغيرهما.
٧- حديث شريف، رواه الترمذي.
٨- حديث شريف، رواه الترمذي والنسائي.
٩- سورة الأنعام، آية: ١٥٠.
١٠- سورة المائدة، آية: ٣٢.
١١- حديث شريف، رواه البخاري.
١٢- سورة النساء، آية: ٩٣.
١٣- سورة النساء، آية: ٣٠.
١٤- سورة البقرة، آية: ١٧٩.
١٥- سورة الفرقان، الآيات من ٦٨ إلى ٧٠.
١٦سورة الزمر، آية: ٥٣.
١٧- سورة طه، آية: ٨٢.
١٨- حديث شريف، رواه الإمام أحمد.
١٩- سورة إبراهيم، آية: ٤٢.
٢٠- سورة الكهف، آية: ٢٩.
- عضو رابطة العلاقات الدولية بريطانيا - وباحث إسلامي.

المرأة والافتاء..
جدل لم يحسم بعد

تحقيق:
تهاني تركي
صحافية مصرية

هل تصلح المرأة للإفتاء؟سؤال برز وتردد فى السنوات الأخيرة خاصة بعد ظهور شخصيات نسائية تصدت للفتوى عبر كثير من الوسائل الإعلامية وهو مادفع البعض إلى تبنى فكرة المطالبة بتعيين نساء مفتيات،ومحليا كان الدكتور أحمد الحداد- كبير مفتين مدير إدارة الإفتاء- قد أعلن فى شهر نوفمبر من العام الماضى عن برنامج لتدريب ست نساء إماراتيات على الافتاء خلال عدة أشهر، على أن يتم تعيينهن -وفقا لما ذكرت صحيفة The National الصادرة باللغة الانجليزية-اعتبارا من نهاية عام ٢٠١٠....الأمر الذى أثار جدلا واسعا مابين مؤيد يرى فيه تيسيرا على النساء اللائي سيتوجهن بالأسئلة لأمرأة مفتية خاصة فى الاستفسارات الحساسة،ومابين معارض يرى أن الإفتاء منصب ولاية لايشغله الا الرجل...

بداية يرى الدكتور على مشاعل -كبير مفتين بدائرة الشؤون الاسلامية بدبي- أن إفتاء المرأة لايجب إلا أن يكون لبنات جنسها من النساء بحيث تسأل وتجيبهن، دون أن تتصدى للفتوى للرجال أو بصفة عامة، وهذا ليس انتقاصا من قدرها ولكنه درء للفتن وماسيترتب عليه من مشكلات وسلبيات كثيرة إذا تصدت المرأة أمام الجميع للإفتاء.

معارضون: الأمر يجب أن ينحصر فى الفتاوى الخاصة بالنساء فقط.

أهل الاختصاص

ويقول الدكتور مشاعل إن توجيهات الاسلام للمرأة بعدم الاختلاط بالرجال، لان مصادر الفتن تنجم عن الاختلاط وما يتصل به ،وبالتالى فاذا أردنا أن نلبي طلبات بعض النساء اللاتي تردن فتاوى فيما اتفق عليه من أمور وليس من قبيل الظن والتخمين كما نرى من بعض النساء اللائي تصدرن أحكاما غير ناضجة وغير سليمة، فالافتاء يجب أن يكون عن علم واضح دون أن تقع المرأة -كما قد يقع الرجل- فى الفتاوى الشاذة، والمرأة إن سألت فى أمور النساء وعلمت بيقين تقول الرأى الصحيح، وإن لم تعلم فلا يجوز لها أن تجيب.

ويؤكد الدكتور مشاعل على وضوح الفرق بين ماكانت تقوم به الصحابيات وأمهات المؤمنين اللائي كن يجبن عن أسئلة واستفسارات النساء وبين أن تتصدى المرأة اليوم لكل من يريد أن يسأل، فالاختلاف واضح بين امرأة عالمة تأتيها من يعرفنها من النساء من صديقات أوقريبات أو تلميذات يسألنها عن أمور الدين، وهوأمر مقبول بل ومفيد بحيث تستطيع المرأة أن تبوح بشكل مفصل وبدون استحياء وبدون أن يترتب عليه أى محظورات، على عكس ماقد يحدث إذا كان الاتصال بين رجل وامراة .

ويضيف بقوله: وبما أن الرجل فى أصل تعلمه وتصديه لقضايا الدين والعلم والحياة وكونه متفرغا أكثر من المرأة بحكم مخالطة العلماء وجلوسه أمامهم وتلقيه عنهم ،فإن ذلك يصب فى كونه مرحبا به من الجميع يتعلمون منه ويأخذون عنه، ووجود بعض العالمات عبر التاريخ فى الفقه والحديث والتفسير والنحو وغيره، فهذا لايعد ظاهرة واسعة، انما مجرد أمثلة معدودة ،ومن ثم لايمكن أن تستغنى الفقهاء والمفتين حتى من قبل السائلات والباحثات عن حلول لمشكلاتهن، ففتوى

مؤيدون: خطوة ايجابية تسهم فى زيادة الوعي الديني.

المرأة فى الدين أمر ليس فيه محظور ولكن بشرط أن لاتشتمل عليه الفتوى من البداية الى النهاية تعلما وتعليما وسؤالا وافتاءا على شئ مخالف من توجيهات الدين وأحكامه

منصب ولاية

ويشدد الدكتور عز الدين بن زغيبة- رئيس قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للتراث- على أن منصب المفتي هو منصب ولاية مثل القضاء والرئاسة، وبالتالي فليس من حق المرأة من الناحية الشرعية تولى هذا المنصب، الذى هو من أختصاص الرجل فى الشريعة الاسلامية، ومنصب المفتى هو جزء من تلك الولاية العامة وهو مرتبط بها ارتباطاً عضوياً فلا يكون إلا من جنسها.

ويقول الدكتور زغيبة اما اذا كانت المرأة عضوا فى هيئة افتاء فى الشئون النسائية أو فقيهة متخصصة ستختص بالرد على الاستفسارات الخاصة بالنساء فذلك لا أشكال فيه، بل بالعكس فإن المجتمع يحتاج الى فقيهات فى الامور الخاصة، فالمرأة السائلة تستطيع من خلال تعاملها مع أمرأة مثلها أن تستفسر بلا خجل، لأن احتكاك المرأة بالمرأة يلغى كثير من الحواجز التى تقف بين السائلة والمفتى الرجل، كما ان هذا الامر يشجع الكثير من النساء اللائي يمنعهن الخجل وتحول الاعراف والتقاليد بينهن وبين التحدث مع المفتين الرجال الى اللجوء الى المرأة الفقيهة المتخصصة فى مجالها،للاستفسار عن أمور قد يجهلنها وتستحين من السؤال عنها، الأمر الذي يعود بالإيجابية على المجتمع ويثري الحركة العلمية الشرعية فى الاوساط النسائية.

رفع الحرج

وعن مدى الاستفادة المتوقعة ومدى تاثيرها على المعنيات بالأمر من جمهور النساء سألنا بعضهن فكانت الآراء تتراوح مابين تحمس وتحفظ ورفض.....فى البداية أكدت لنا صفاء رمضان المسلماني- معلمة تربية إسلامية-على موافقتها على فكرة تولى المرأة الإفتاء على أن يقتصر ذلك على الرد على الأمور الخاصة التى تجد المرأة حرجا فى سؤال رجال الدين عنها، وتقول إن ذلك سيرفع الحرج عن النساء فى امورهن الحساسة واللائي تجدن قيودا نفسية كثيرة على التعامل بشأنها مثل أمور الاستحاضة والنفاس والطهارة من الحيض والتى تتعلق بها بضع أحكام شرعية كثيرة خاصة بالصلاة والصيام والطلاق وحقوق الزوج وحسن العشرة، بالإضافة الى الأمور المتعلقة بالحياة الزوجية فهناك بعض النسوة لاتعرفن حقوق الزوج كما حددها الشرع، ولنا فيما كانت تفعله السيدة عائشة رضى الله عنها مثلا ونموذجا يحتذى فقد كانت ترد على تساؤلات واستفسارات النساء وكانت تسأل الرسول عليه الصلاة والسلام وتجيبهن.

الرفض

وعلى عكس الرأى السابق ترفض- جيهان خيري-معلمة- الفكرة مبررة ذلك بأنها فى أمور الدين لاتثق إلا فى رأى علماء الدين، فالفتوى كما تؤكد ليست قراءة فى الكتب ولكنها تتطلب مهارات خاصة وعلم واطلاع وثقافة وتمعن فى أمور الفقه، بالإضافة إلى خبرة طويلة فى مجال الفتوى،كما أن المرأة بطبيعتها تكون منشغلة بأمور أخرى كثيرة مثل أسرتها وتربية أبنائها وهو مايجعلها غير متفرغة تماما لعملها بعكس

الدكتور علي مشاعل: بعض الاحكام الصادرة من النساء غير ناضجة.

الرجل الذى تتيح له الظروف للتفرغ للعلم والعمل والدراسة والتحصيل، وهذا لايعني عدم وجود سيدات نوابغ فى تخصصاتهن ولكنهن قلة ممن تخدمهن ظروف خاصة والنسبة لاتكاد تتعدى نسبة امرأة واحدة مقابل مئة رجل..

وتقول إن هذه الأمور جميعها يجب ان تتوافر لمن تتصدى للإفتاء حتى يطمئن قلب السائل بأن ما صدر له من فتوى صحيحة لاتشوبها شائبة،وتضيف بقولها أنا شخصيا إذا أردت فتوى أقوم بالبحث فى الكتب الموثوق بها وفقه السنة واراء الائمة جميعهم، واذ لم أجد فأننى ألجأ لفتاوى شيخينا الجليلين القرضاوي والشعراوي، ولكن إذا فرضت أننى من الناس التى تلجأ الى الاتصال بدار الفتوى ووجدت نساء فإن أقصى مايمكن هو سؤالهن عن الامور الخاصة بالمرأة وفقط، على اعتبار أن هناك من تتحرجن من سؤال الرجل فى مثل هذه الامور.

وتضيف أن المرأة لاتعلم شيئا عن واقع الرجل وبالتالى فانها إذا أفتت فستكون فتواها بعيدة عن الواقع،كما أن نظرتها غير شاملة لجميع الافراد وأحوالهم ، فالفتوى أمر يتعلق بالدين وبعلاقة المسلم بربه وهى أمور حساسة جدا ،ويجب أن يكون هناك اطمئنان بشأنها.

تلوث البيئة

د.حمزة محمد العباسي
استشاري الصحة العامة -وزارة الصحة

لقد خلق الله أدم واستخلفه في الأرض ليعمرها وهيأ له بيئة نظيفة خالية من التلوث ولكن أبناء أدم على مر العصور لوثوا البيئة المحيطة بهم عن قصد أو عن غير قصد فمنذ أن عرفوا النار استخدموها لأغراضهم مثل الطهي وصهر المعادن والإنارة والتدفئة وحرق الغابات وما إلى ذلك بدأت البيئة المحيطة بهم تتلوث ولكن هذا التلوث كان محدوداً لا يتعد المحيط الذي يعيشون فيه وسرعان ما تتقي البيئة ذاتها ومع التطور الصناعي و المدنية بدأ التلوث البيئي يشكل خطرا على صحة الإنسان وحياته. وفي حوالي ١٩٦٠ بدأ الانتباه لظاهرة تلوث البيئة يأخذ طريقاً جدياً. وذلك لوجود أدلة تشير إلى أن تلوث البيئة بدأ يأخذ شكلاً حرجاً يهدد جميع الكائنات على سطح الكره الأرضية.

علم البيئة وصحة البيئة

حتى يمكن أن نفهم تلوث البيئة وماذا تعني مشاكل تلوث البيئة ينبغي أن نلقي نظرة على علم البيئة Ecology وهو العلم الذي يدرس الكائنات الحية وعلاقتها بالبيئة المحيطة بهم. وعلم البيئة علم قديم ولكنه لم يظهر للعيان إلا في القرن التاسع عشر وفي النصف الأخير من القرن العشرين حيث تطور بشكل سريع ومفاجئ.

علم البيئة يهتم بالعلاقة المعقدة بين الحياة واللاحياة. مصطلح biosphere (الغلاف الجوي) يشير إلى العالم الحي ويتكون من عدة انظمه بيئية ecosystems. النظام البيئي ecosystem يوفر أو يهئ الظروف المناسبة للنباتات والحيوانات لتعيش، ويجدد العناصر اللازمة لإبقائهم أحياء (التوازن البيئي) وعلى هذا الأساس تتكون دورة الحياة من أربعة عناصر.

أولاً: يوجد ضوء الشمس، الماء، الأوكسجين، وثاني أكسيد الكربون والمركبات العضوية وبعض مركبات غذائية تحتاجها النباتات للنمو. (العناصر غير الحية).

ثانياً: النباتات سواء البرية أو المائية والتي بعملية التمثيل الضوئي تحول ثاني أكسيد الكربون والماء إلى كربوهيدرات التي تحتاجها النباتات نفسها أو كائنات حية أخرى في النظام البيئي وعلى هذا فإن النبات كائن منتج.

ثالثاً: المستهلك الذي يعتمد على المنتج (النبات) الحيوانات أكلة الأعشاب Herbivores (مثل البقر والماعز) هي مستهلك أولي لهذه النباتات لأنها تتغذى عليها بصفة رئيسية. الحيوانات أكلة اللحوم Carnivores (مثل الإنسان و الحيوانات الأخرى أكلة اللحوم) هي مستهلك ثانوي لأنها تأكل الحيوانات أكلة الأعشاب.

رابعاً: المحلل أو المكسر decomposer وهي كائنات حية مثل البكتريا والفطريات والحشرات وهي تحلل المنتجات الميتة إلى عناصرها الكيميائية وإعادتها للنظام البيئي ليتم إعادة استخدامها ثانية.

النظام البيئي يتكون من دورة حياة التي يتحول فيها فضلات الحيوانات إلى غذاء للتربة والبكتريا. والبكتريا تنتج مواد

غذائية للنبات والحيوانات التي تستهلك النباتات.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الأنظمة البيئية تتكون من دورة حياة معقده ومتفرعة. هذا التعقيد يساعد على حفظ النظام البيئي في حالة كسر الدورة أو تغيير مسارها تنشأ علاقة جديدة لتحافظ عليها.

ومن الجدير بالتذكير أن الحياة المدنية أصبحت تقطع أو تعيق دورة الحياة أنفة الذكر وهو ما يعرف بصناعة الإنسان المواد السامة وإلقاءها في دورة الحياة man made toxic agents- والتي سوف تلوث البيئة وتسممها ويرتد أثرها الضار عليه.

مثال ذلك استخراج الإنسان البترول من الأرض واستخدامه كوقود للسيارات والآلات الأخرى مخلفاً غازات كيميائية سامة أو ملوثة في الهواء وهو ما يعرف بتلوث الهواء.

ومثال آخر استخدم الإنسان الزئبق لأغراض عديدة مثل صناعة الدهانات وبعض الصناعات الصيدلية، وألقى الزئبق

عرفت علاقة الصحة بالبيئة من قديم الزمان عندما ربط الإنسان بين انتشار الأمراض والبيئة

أو فضلاته في البيئة وتنتقل بعدة طرق إلى الهواء والماء والتربة محدثاً أضراراً جسيمة للإنسان عندما يتعرض لهذه البيئة الملوثة.

ويعتقد أن المشاكل البيئية هي خلاصة ثلاث تفاعلات أو تداخلات:

١- الزيادة في استخدام المنتجات والتقنية التي تولد تلوثاً كثيراً.

٢- سوء استخدام الموارد.

٣- زيادة معدل النمو السكاني.

صحة البيئة

لقد عرفت علاقة الصحة بالبيئة من قديم الزمان عندما ربط الإنسان بين انتشار الأمراض والبيئة. في القرن السابع عشر اكتشفت الكائنات الدقيقة التي تسبب أمراضاً معدية وهذا قاد إلى تفعيل صحة البيئة لتحد من انتشار الأمراض مثل الكوليرا، التيفوئيد، الملاريا، وأمراض معدية أخرى. هذا التفعيل في دور صحة البيئة مثل الإصحاح البيئي انعكس اليوم على هيئة برامج. مثل تأمين مياه شرب نقية، وبسترة الحليب أو اللبن، وتحضير الطعام بطرق صحية، وشبكات الصرف الصحي.

المواد الكيميائية التي تعتبر من خاصية المدنية الحديثة أصبحت مصدراً خطيراً لتلوث البيئة. ما يزيد على مليوني مادة كيميائية عرفت حتى اليوم وفي كل عام ما يزيد على ألف مادة كيميائية تكتشف بواسطة المصانع الكيميائية ومئات من هذه

المواد الكيميائية تستخدم تجارياً. ولا يعرف معلومات كافية عن تأثير معظم هذه المواد الكيميائية على الصحة.

يوجد قائمة بالأمراض التي يشك أو يعتقد في أنها نتيجة لوجود المواد الكيميائية في البيئة. وعلى ذلك مشاكل الرئة وانتفاخها emphysema لها علاقة بتلوث الهواء، التسمم بالرصاص له علاقة بالرصاص الموجود في الدهانات أو المضاف إلى البنزين، أمراض القلب وأول أكسيد الكربون، تلف الأعصاب الدائم والزئبق ، والكثير من الكيماويات التي من المحتمل لها علاقة بالسرطان . وهناك علاقة مثلاً بين نوع من سرطان الرئة mesothelioma وغبار الاسبستوس asbestos. نوع من سرطان الكبد وجد له علاقة بالعمال الذين يعملون في تحويل Vinyl chloride إلى Polyvinylchloride (مادة بلاستيكية لصناعة الملابس، وأغلفة الأطعمة، الألعاب، الدهانات، outo seatcovers، وغيرها).

من تلك المليوني مادة كيميائية حوالي ٦٠٠٠ فحصت للسرطان وحوالي ١٠٠٠ مادة كيميائية ثبت أنها تسبب أمراضاً في الحيوانات وفقط ٢٠٠ مادة كيميائية التي ثبت أنها تسبب سرطان الإنسان. مما سبق يتضح أن العالم الصناعي أدخل مواد كيميائية كثيرة ووجدت طريقها إلى البيئة لتحدث التلوث الذي يضر بالإنسان.

تلوث الهواء

قبل الخوض في موضوع تلوث الهواء يجدر أن نلقي نظرة سريعة على الغلاف الجوي أو ما يسمى بالهواء وتتكون من عدة مئات من الكيلومترات فوق سطح الأرض ويتكون الغلاف الجوي من ثلاث طبقات:

١- التربوسفير Troposphere وهي الطبقة التي تحدث فيها معظم التغيرات الجوية وهي التي فوق سطح الأرض وتتركز أنشطة الإنسان أو الحياة فيها.

٢- الاستراتوسفير Stratosphere وهي الطبقة التي فوق التربوسفير وتمتد من ارتفاع ٢٠ إلى ٨٠ كم ولا توجد تقلبات جوية في هذه الطبقة وبها طبقة الأوزون التي تحمي سطح الأرض من مخاطر الأشعة فوق البنفسجية.

٣- الأيونوسفير Ionosphere وهي الطبقة التي فوق الاستراتوسفير وتمتد من ارتفاع ٨٠ إلى ٣٦٠ كم وتتميز هذه الطبقة بخفة غازاتها ويتركز فيها الهيدروجين والهليوم.

الهواء يحتفظ بمكوناته حسب دورة الحياة في النظام البيئي فيأخذ النبات ثاني أكسيد الكربون من الجو ويطلق الأوكسجين

إن الهواء الجوي الجاف النقي غير الملوث يتكون من ٧٨ ٪ نيتروجين ٢١٪ أكسجين وحوالي ٠,٩٪ غاز أرجون والبقية عبارة عن تراكيز شحيحة من ثاني أكسيد الكربون والنيون و الهليوم والهيدروجين وغيرها بالإضافة إلى ذلك يحتوي على بخار الماء.

إن الهواء يحتفظ بمكوناته في الظروف الطبيعية وحسب دورة الحياة في النظام البيئي السابق ذكره فإن النبات مثلاً يأخذ ثاني أكسيد الكربون من الجو ويحتفظ بالكربون ويطلق الأوكسجين وتتنفس الكائنات الحية الأوكسجين وإذا زادت نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو فإن الفائض يذوب في البحار والمحيطات ويتفاعل مع أملاح الكالسيوم مكوناً كربونات الكالسيوم (الأحجار الجيرية) . وبذلك تحفظ الطبيعة ذاتها.

ما هو تلوث الهواء

تلوث الهواء هو وجود مواد في الهواء بتركيزات مختلفة تكون ضارة بصحة الإنسان أو الحيوان أو النبات أو التربة أو البيئة.

مصادر تلوث الهواء

هناك مصدران لتلوث الهواء:

أولاً: مصادر طبيعية:

وهذه لا دخل للإنسان فيها أي أنه لم يتسبب في حدوثها ويصعب التحكم بها وهي تلك الغازات الناتجة من البراكين وحرائق الغابات والأتربة الناتجة من العواصف وهذه المصادر عادة تكون محدودة في مناطق معينة ومواسم معينة وأضرارها ليست جسيمة إذا ما قورنت بالأخرى. ومن الأمثلة لهذه الملوثات الطبيعية:

١ - غازات ثاني أكسيد الكبريت، فلوريد الإيدروجين، وكلوريد الإيدروجين، المتصاعدة من البراكين المضطربة .

٢ - أكاسيد النيتروجين الناتجة عن التفريغ الكهربي للسحب الرعدية.

٣ - كبريتيد الهيدروجين الناتج من انتزاع الغاز الطبيعي من جوف الأرض أو بسبب البراكين أو تواجد البكتريا الكبريتية.

٤ - غاز الأوزون المتخلق ضوئياً في الهواء الجوي أو بسبب التفريغ الكهربي في السحب.

٥ - تساقط الأتربة المتخلفة عن الشهب والنيازك إلى طبقات الجو السطحية.

٦ - الأملاح التي تنتشر في الهواء بفعل الرياح والعواصف وتلك التي تحملها المنخفضات والجبهات الجوية وتيارات الحمل الحرارية من التربات العارية.

٧ - حبيبات لقاح النباتات.

٨ - الفطريات والبكتريا والميكروبات المختلفة التي تنتشر في الهواء سواء أكان مصدرها التربة أو نتيجة لتعفن الحيوانات والطيور الميتة والفضلات الآدمية.

٩ - المواد ذات النشاط الإشعاعي كتلك الموجودة في بعض تربات وصخور القشرة الأرضية وكذلك الناتجة

غاز أول أكسيد الكربون هو أخطر أنواع تلوث الهواء وأشدها سمية على الإنسان والحيوان

عن تأين بعض الغازات بفعل الأشعة الكونية.

ثانياً: المصادر غير الطبيعية:

وهي التي يحدثها، أو يتسبب في حدوثها الإنسان وهي أخطر من السابقة، وتثير القلق والاهتمام حيث إن مكوناتها أصبحت متعددة ومتنوعة وأحدثت خللاً في تركيبة الهواء الطبيعي وكذلك في التوازن البيئي. وبالإمكان تخفيض الضرر الناتج عنها ومصادرها:

١ - استخدام الوقود في الصناعة.
٢ - وسائل النقل البرى والبحري والجوى.
٣ - النشاط الإشعاعي.

أثار تلوث الهواء

يختلف تلوث الهواء من مكان لأخر حسب سرعة الرياح والظروف الجوية فمثلاً تتفاعل أكاسيد النيتروجين مع الهيدروكربونات في وجود ضوء الشمس تحت ظروف جوية خاصة غالباً ما تكون في فصل الصيف لتنتج مواد كيميائية سامة مثل رباعي الأستيل بيروكسين وغاز الأوزون. وتؤدي هذه مع بعض المكونات الأخرى إلى ما يعرف بالضباب الدخاني (غالباً ما يكون لونه مائلاً للبني) ويحدث الضباب الدخاني في المدن المزدحمة بالسيارات مثل لوس أنجلوس ونيويورك ولندن ونيو مكسيكو وغيرها، من أشهر هذه الفترات تلك التي حدثت في لندن عام ١٩٥٢ وراح ضحيتها ٤٠٠٠ شخص.

وفي الدول النامية تعتبر مدينة سيؤل، القاهرة، وبانكوك وبومباي وكراتشي وجاكرتا ومانيلا من أكثر المناطق الحضرية تلوثاً في العالم طبقاً لمسح حالة الهواء قبل عام ١٩٩٠.

أضرار تلوث الهواء على الإنسان

(١) غاز أول أكسيد الكربون:

هو غاز ليس له لون ولا رائحة، ومصدره عملية الاحتراق غير الكامل للوقود. ويصدر من عوادم السيارات ومن أحتراق الفحم أو الحطب في المدافئ. وهو أخطر أنواع تلوث الهواء وأشدها سمية على الإنسان والحيوان. يتحد أول أكسيد الكربون مع الهيموجلوبين مكوناً كربوكسي هيموجلوبين وبذلك يمنع الأكسجين من الاتحاد مع الهيموجلوبين وفي هذه الحالة يحرم الجسم من الحصول على الأوكسجين. وتعتمد سمية أول اوكسيد الكربون علي تركيزه في الهواء المستنشق فتركيز ٠,٠١٪ من أول أكسيد الكربون يعادل ٢٠٪ من كربوكسي هيموجلوبين ويؤدي إلى:

١ - شعور بالتعب.
٢ - صعوبة التنفس dyspnoea .
٣ - طنين في الأذن Noises in the ears
٤ - في حين تركيز ٠,١٪ من أول أكسيد الكربون يعادل ٥٠٪ من كربوكسي هيموجلوبين ويؤدي إلى:
١- ضعف في القوة، ارتخاء في عضلات الجسم وبذلك لا يستطيع المصاب المشي خارج المكان .
٢- ضعف في السمع Impaired hearing
٣- نقص في الرؤية Dimness of vision
٤- غثيان وقيء.
٥- انخفاض ضغط الدم.
٦- انخفاض في الحرارة.
٧- ازدياد النبض مع ضعف في إحساسه Rapid، weak pulse
٨- أخيراً الإغماء والوفاة خلال ساعتين.

إذن النتيجة النهائية الوفاة لمن يتسمم بهذا الغاز ولذلك تتضح خطورته.

(٢) غاز ثاني أكسيد الكربون:

زيادته تؤدي إلى صعوبة في التنفس والشعور بالاحتقان مع تهيج للأغشية المخاطية والتهاب القصبات الهوائية وتهيج الحلق.

يتكون غاز ثاني أكسيد الكربون من احتراق المواد العضوية كالورق والحطب والفحم وزيت البترول. ويعتبر غاز ثاني أكسيد الكربون الناتج من الوقود من أهم الملوثات التي أدخلها الإنسان على الهواء. إن لعملية الاتزان البيئي التي تذيب غاز ثاني أكسيد الكربون الزائد في مياه البحار والمحيطات مكوناً حمضياً ضعيفاً يعرف باسم حمض الكربونيك ويتفاعل مع بعض الرواسب مكوناً بيكربونات وكربونات الكالسيوم. وتساهم النباتات أيضاً في استخدام جزء كبير منه في عملية التمثيل الضوئي.

غاز ثاني أكسيد الكبريت غاز حمضي يعتبر من أخطر ملوثات الهواء فوق المدن والمنشآت الصناعية

وتجدر الإشارة الى أن الإسراف في استخدام الوقود وقطع الغابات أو التقليل من الساحات الخضراء ساهم في ارتفاع نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو والذي قد يؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض وهو ما يعرف بالاحتباس الحراري.

(٣) غاز كبريتيد الهيدروجين:

هو غاز ذو رائحة تشبه البيض الفاسد ويتكون من تحلل المواد العضوية مثل مياه الصرف الصحي sewage. وهو غاز سام وقاتل ولا يختلف عن أول أكسيد الكربون أو سيانيد الهيدروجين حيث يتحد مع هيموجلوبين الدم محدثاً نقصاً في الأكسجين الذي يصل الى الأنسجة والأعضاء الأخرى من الجسم. وله التأثيرات التالية:

١- يؤثر هذا الغاز على الجهاز العصبي المركزي.
٢- يثبط عملية الأكسدة الخمائرية مما يؤدي إلى حدوث اضطراب وصعوبة في التنفس.
٣- يسبب خمول في القدرة على التفكير.
٤- يهيج ويخشن الأغشية المخاطية للجهاز التنفسي وملتحمة العين.

(٤) غاز ثاني أكسيد الكبريت:

غاز ثاني أكسيد الكبريت هو غاز حمضي يعتبر من أخطر ملوثات الهواء فوق المدن والمنشآت الصناعية. ويتكون من احتراق أنواع الوقود كالفحم وزيت البترول وأيضاً بعض البراكين تطلق هذا الغاز.

ويعتبر غاز ثاني أكسيد الكبريت أحد عناصر مكونات الأمطار على سطح الأرض فيلوث التربة والنباتات والأنهار والبحيرات والمجاري المائية، وبذلك يسبب إخلالا بالتوازن البيئي.

ويختلط بالضباب الدخاني فوق المدن محدثاً أضرار بالغة كما أشرنا إلى ذلك.

أضرار غاز ثاني أكسيد الكبريت:

١- يؤثر على الجهاز التنفسي للإنسان محدثاً آلاما في الصدر.
٢- التهاب القصبات الهوائية وضيق التنفس.
٣- التركيز العالية تسبب تشنج الحبال الصوتية وقد تؤدي إلى تشنج مفاجئ واختناق.
٤- التعرض الطويل للغاز يؤثر على حاسة التذوق والشم وإلى التصلب الرئوي.
٥- يسبب تهيج العيون وكذلك الجلد.
٦- يسبب الأمطار الحمضية.

(٥) غاز ثاني أكسيد النتروجين:

هذا الغاز وغيره من أكسيد النتروجين تنتج من احتراق المركبات العضوية وأيضا من عوادم السيارات والشاحنات وبعض المنشآت الصناعية وهو يكون مع بخار الماء في الجو حمضاً قوياً هو حمض النتريك ويسبب الأمطار الحمضية. وعند وصوله مع بقية اكاسيد النيتروجين إلى طبقات الجو العليا (طبقة الأوزون) يحدث كثيراً من الضرر لهذه الطبقة (سيتم الحديث عن طبقة الأوزون فيما بعد).

أضرار غاز ثاني أكسيد النيتروجين:

١- يؤدي إلى تهيج الأغشية المخاطية للمجاري التنفسية ويسبب أضرار في الرئة مثل pulmonary edema.
٢- يؤدي إلى تهيج الأغشية المخاطية للعين.
٣- يحدث ضرراً في طبقة الأوزون.
٤- يكون الأمطار الحمضية.

(٦) الرصاص:

يضاف الرصاص للبنزين وقود السيارات لزيادة معدل الأوكتان ويتم ذلك بإضافة tetra-ethyl lead وهذا هو البنزين المحتوي على الرصاص. يخرج الرصاص من عوادم السيارات إلى الهواء محدثاً تلوثاً به وخاصة في المدن المزدحمة والتي تستخدم وقود أو البنزين به رصاص (المرصص).

أضرار الرصاص:

١- يسبب الصداع والضعف العام وقد يؤدي للغيبوبة وإلى حدوث تشنجات قد تؤدي للوفاة.
٢- يؤدي إلى إفراز حمض البوليك وتراكمه في المفاصل والكلى.
٣- يقلل من تكوين الهيموجلوبين في الجسم.
٤- يحل محل الكالسيوم في أنسجة العظام.
٥- يؤدي إلى القلق النفسي والليلي.
٦- يسبب التخلف العقلي لدى الأطفال.
٧- تراكمه في الأجنة يؤدي إلى تشوه

الجنينين وإلى إجهاض الحوامل .

لكن كثيراً من الدول تنبهت لذلك وبدأت تستخدم البنزين الخالي من الرصاص للتقليل من مخاطر تلوث الهواء بالرصاص.

(٧) مركبات الكلورو فلورو كربون:

تنتج هذه المركبات من صناعات عديدة أهمها الأيروسول aerosol التي تحمل المبيدات أو بعض مواد تصفيف الشعر أو مزيل روائح العرق وكذلك يمكن استخدام مركبات الكلورفوروكربون على هيئة سائل في أجهزة التكيف والتبريد ثلاجات المنازل. كما أن إحراق النفايات المنزلية إحراقاً غير كامل يؤدي إلى انتشار هذه المركبات في الجو.

يوجد تركيز من هذه المركبات في طبقات الجو على بعد ١٨ كم فوق المناطق القطبية. وتقدر كمية هذه المركبات التي تنطلق في الجو بما يزيد على مليون طن سنوياً. وعند وصول هذه المركبات لطبقة الإستراتوسفير stratosphere التي بها طبق الأوزون فإنها تتحلل بفعل الأشعة الفوق بنفسجية الموجودة في الشمس إلى ذرات الكلور والفلور التي تقوم بمهاجمة الأوزون وتحويله إلى أكسجين وبذلك تساعد على تحطيم طبقة الأوزون (سيتم الحديث عن الأوزون) ولقد تنبهت العديد من الدول لخطورة هذه المركبات، وبدأت بعضها في حظر إنتاجها مثل الولايات المتحدة الأمريكية والسويد وكندا والنرويج وغيرها وذلك منذ عام ١٩٨٢. وهناك محاولات لاستبدالها بمواد نافعة أخرى من بينها استعمال خليط من غاز البيوتان والماء ويطلق عليه اسم اكواصول aquasol ولا تحتوي على الكلور و الفلور.

(٨) بعض الشوائب والمواد العالقة:

كثير من المصانع تطلق أبخرة في الجو تحتوي على مركبات شديدة السمية مثل مركبات الزرنيخ والفوسفور والكبريت والسلينوم. كما تحمل معها بعض المعادن

الثقيلة كالزئبق والرصاص والكادميوم وغيرها وتبقي هذه المواد الشائبة معلقة في الهواء على هيئة رذاذ أو ضباب خفيف ويكون هذا التلوث واضحاً حول المصانع ولكن قد تحمله الرياح إلى أماكن أخرى.

والبحار عندما تهب عليها رياحاً قوية تحمل بعض الأملاح الذائبة على هيئة رذاذ أو بخار دقيق من الماء إلى مسافات طويلة داخل الشواطئ وتحمل هذه الشوائب في طبقة التربو سفير ثم تعود وتسقط على الأرض مع الأمطار أو الجليد. وفترة تحليل الجليد القطبي وهو انه يحتوى على أملاح الكلوريدات والنترات والكبريتات للعديد من المعادن مثل الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم وهذه الأملاح لا تتوفر إلا في البحار. وأيضاً وجد في الجليد شوائب مثل النحاس والحديد والزنك والكوبالت والرصاص ولابد أنها نتجت من النشاط الصناعي.

(٩) الكائنات الدقيقة أو الميكروبات:

تنتشر في الهواء أنوع عديدة من البكتريا والفطريات في حالة ساكنة وتصيب الإنسان إذا توفرت الظروف الملائمة. ومن أجناس البكتريا Yersina - Streptococcus Mycobacterium - Corynebactrium أما الفطريات Pentium - Candida Aspergillus ويعتبر فيروس الأنفلونزا أكثر الفيروسات انتشاراً في الهواء. تستخدم الميكروبات في الحروب الجرثومية لسهولة انتشارها في الهواء وتسبب أمراضاً فتاكة بالإنسان ومن أشهر هذه الميكروبات في وقتنا الحاضر الجمرة الخبيثة التي تسببها Bacillus anthrax ويمكن انتشار غيرها عن طريق الهواء مثل الطاعون Pasture plague Upsets والجدري الذي يسببه فيروس Small pox.

أضرار تلوث الهواء داخل المباني (الهواء الداخلي)

كثير من الناس يقضون وقتاً طويلاً داخل المباني قد يصل إلى ٨٠ – ٩٠٪ من وقتهم فالكثير يعملون ويأكلون وينامون ويشربون داخل المباني التي يكون دورة الهواء مغلقاً وهذا ما دعا كثير من الناس يعتقدون أن تلوث الهواء الداخلي أخطر من الخارجي. ومنذ السبعينات بدأ الضوء يتسلط على تلوث الهواء الداخلي ومن أهم مصادر تلوث الهواء الداخلي تدخين السجائر والمعسلات والجراك، الأبخرة الناتجة من المفروشات أو مواد الدهانات وفي مجتمعنا البخور الذي يستخدم بكثرة داخل المباني. بالإضافة إلى الفريون الناتج من أجهزة التكييف .

وفي الولايات المتحدة وجد أن غاز الرادون Radon وهو غاز نشط إشعاعياً radioactive gas وينبعث من الأرض ويتواجد في البدرومات .وهناك أيضاً بعض الميكروبات أو الكائنات الدقيقة التي تلوث الهواء الداخلي .

محاكاة الطبيعة
تفتح آفاقاً لتقنية جديدة

د. أماني حسن
باحثة علمية بالجامعات السودانية

الطبيعة هي المعلم الأول للإنسان، ومعظم الاختراعات هي في أصلها تقليد لها. واليوم يعود العلماء لاستلهامها في ابتكاراتهم بعد عقود من العزوف عنها. فما تقدمه الطبيعة من طرق وحلول يمكن استثماره لتحسين المخترعات الحالية.

فقد تعوّد الإنسان على استلهام اختراعاته من الطبيعة. فالملابس مثلا بدأت باتخاذ جلود الحيوانات وفروها نموذجاً لها حتى تطورت لتصل إلى صورتها الحالية. وربما نسي الإنسان ما تعلمه من الطبيعة وأصبح يعتمد على الاختراعات في صورتها الحالية، إلا أن الباحثين عادوا في الآونة الأخيرة إلى الاهتمام بالطبيعة، إذ وجدوا فيها قدرات قد تفيدهم كثيراً في ابتكار تقنيات حديثة. والـ (بيوميميتيك biomimetic) أو علم (محاكاة الطبيعة) أصبح في بؤرة اهتمام عدد كبير من العلماء اليوم، حيث يسعون من خلال هذه التقنية إلى فهم التركيبات الطبيعية لاستخدامها في تطبيقات مفيدة.

ندوة في ألمانيا حول تقليد الطبيعة

أقيمت مؤخراً ندوة في مركز أبحاث النسيج في مدينة دينكندورف في منطقة جنوب ألمانيا حول البيوميتيك وتطبيقاتها الممكنة. وأشهر تطبيقات هذه التقنية هو شريط اللصق (المعروف بفيلكرو Velcro) الذي يستخدم على سبيل المثال في صناعة الأحذية. فكرة هذا الاختراع البسيط استغرقت من العالم السويسري جورج دي ميسترال ثماني سنوات حتى تمكن من تطبيقها. فكثيراً ما شاهد بذور النباتات الشائكة وهي تلتصق بفرو الكلاب أو بألياف بعض الملابس بمجرد سقوطها من الشجر على السائرين أسفلها. وبعد فترة من التأمل استطاع العالم أن يحول هذه الظاهرة إلى تطبيق علمي نستخدمه في حياتنا اليومية. وقد سهلت هذه الشرائط ذاتية اللصق، التي يمكن لصقها وفكها بسهولة وبسرعة الكثير من الأعمال.

لكن فهم ما طورته وحسنته الطبيعة (تصحيح: إن الله تعالى هو الذي خلق وطور هذه الكائنات من حولنا) خلال ملايين السنين ليس بالأمر السهل كما يؤكد البروفسور توماس شبيك، مدير حديقة النباتات بجامعة فرايبورج والمتحدث عن شبكة المختصين في تقنية (بيوميمتيك) أو محاكاة الطبيعة. ويضيف: إن (البيوميميتك ليس نقلاً كربونياً عن الطبيعة، ولكنه ابتكار جديد مستوحى من أمثلة طبيعية، فهو يمر بعدة مراحل قبل أن يصل إلى المنتج النهائي).

لكل نبات مميزاته التي يمكن التعلم منها تقوم الطبيعة بتطوير ابتكاراتها بطريقة لعبة (الليغو) التي يمارسها الأطفال. عدد قليل من المواد الأولية ينتج عدداً هائلاً من المركبات. بياض البيض مثلاً مكون من عدد قليل من الجزيئات، ٢٠ حمض أميني على وجه التقريب، ولكن يَنتج عبر تنويعاتها المختلفة عدداً ضخماً من المواد. المنسوجات تُصنع بصورة مشابهة: فالخيوط تصنع من الألياف، ومن الخيوط تنتج الأقمشة. وبمشاهدة الطبيعة يجد الإنسان أن الأمر لا يتوقف على سيقان النبات المكونة من الألياف، إذ إن العظام أيضا مكونة من الألياف، وتحليل هذه التركيبات الطبيعية للمواد المختلفة، ثم نقلها وتحويلها لتقنية جديدة يفتح مجالاً كبيراً من التطبيقات.

محاكاة الطبيعة في نقل المياه

يمكن توظيف البيوميميتيك لتوفير استهلاك المياه: في الوقت الحالي يتعلم الباحثون من الطبيعة كيف تصلح نفسها، كما هو الحال عندما يقطع الشخص إصبعه خطأ أو ينكسر عود النبات. وهو ما أمكن تقليده في المعمل، فأمكن إصلاح ثقوب في أنسجة تصل إلى ٥ ملليمترات باستخدام الوسيلة نفسها التي تستخدمها الطبيعة. ويمكن القول إن تقنيات البيوميمتك لن

تبدل التقنية المتعارف عليها حالياً، لكنها ستكملها، وستفتح مجالات جديدة تماماً. فقد يمكن نقل السوائل إلى أعلى بلا مضخات على مثال نبات الليانا المتسلق الذي ينقل المياه حتى مسافة كيلومتر واحد.

قد يساعد تطبيق هذه التقنية في الزراعة على الاقتصاد في المياه المطلوبة ومنع تبديد كميات هائلة منها. وهو ما يؤكده الدكتور توماس شتيجماير من معهد دينكندورف قائلاً: (من الابتكارات المدهشة أنظمة نقل المياه. وهي تمثل تحدياً تقنياً كبيراً، أن نحول هذه الأنظمة القادرة على نقل المياه على ارتفاع ١٠ متر حتى الآن إلى أنظمة قادرة على نقل المياه على ارتفاع يصل إلى مئة متر، على مثال الطبيعة). هذه الأنظمة ستقلل تبديد المياه وتوفر الطاقة المستخدمة في المضخات.

الله خالق كل شيء!

من خلال هذه الدراسات وغيرها يمكن أن نؤكد أن الإنسان يأخذ اختراعاته من الطبيعة، وأهم مثال على ذلك الطائرة، فلولا وجود الطيور ربما لم يفكر الإنسان بالطيران أصلاً، ولولا وجود قوانين فيزيائية سخرها الله للإنسان لم يتمكن الإنسان من استغلال طاقة الهواء لحمل الطائرة، إذاً كل ما نراه من حولنا مسخّر لخدمتنا، ولذلك يقول تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الجاثية: ١٣. فهل نتفكر في هذه المعجزات العظيمة؟!

ولو تأملنا الآية الكريمة (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) الرعد: ١٦، نرى فيها إشارة إلى أن كل ما نراه من حولنا هو مخلوق من مخلوقات الله، حتى الطائرة مثلاً هي مخلوق من مخلوقات الله، فالمادة الأولية التي صُنعت منها الطائرة خلقها الله بلا شك، والوقود الذي يسير الطائرة هو من صنع الله، والهواء الذي يحمل الطائرة من صنع الله الذي أتقن كل شيء، وحتى تصميم الطائرة أخذه الإنسان من الطيور وهي مخلوقات في الطبيعة من صنع الله عز وجل، وحتى الإنسان الذي يقود الطائرة هو من صنع الله، إذاً مَن الذي خلق الطائرة؟ الله أم الإنسان؟!

وهنا يتجلى قول الحق تبارك وتعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) النحل: ٨. فالخيل والبغال وغيرها لا يشك أحد أنها من صنع الله، وقوله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يدل على أن الله هو الذي خلق كل شيء لأن الإنسان حتى هذه اللحظة لم يتمكن من خلق ذرة من العدم!

والآن أترككم مع روائع التصميم الإلهي في الطبيعة لنرى دقة وجمال صنع الله في مخلوقاته:

صورة لزهرة يظهر من خلالها التداخل الرائع للألوان، إن كل اللوحات التي رسمها الإنسان، وكل الأشكال التي اخترعها هي في الأصل مستوحاة من الطبيعة. يقول عز من قائل: (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) النحل: ١٣.

حوار اقتصادي

حوار
محمد توفيق

أهم ميزة في الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد أخلاقي قيمي.
في هذا الحوار الذي أجريته عبر شبكة الانترنت يواصل الدكتور محمد النوري – رئيس المجلس الفرنسي للمصرفية الإسلامية (COFFIS) تقديم فكرة اقتصادية عن تأصيل مفهوم الاجتهاد في المسائل الاقتصادية وترسيخه لينتقل من مرحلة الفردية إلى مرحلة المؤسسية التي تعد من أهم سمات العمل الاقتصادي بشكل عام.

وإشكالية الاجتهاد في المسائل الاقتصادية حاضرة بقوة في واقعنا الفقهي، وحدد النوري السمات المميزة للفقيه الاقتصادي، وأهمها أن يمتلك القدرة على الجمع بين فقه النص وفقه الواقع، والخروج من ثنائية الفقيه الذي لا يدرك الواقع الاقتصادي، والخبير الذي لا يملك أي زاد شرعي أو فقهي.

ويرى النوري أن أهم ميزة في الاقتصاد الإسلامي أنه اقتصاد أخلاقي قيمي، وهو ما يميزه عن الأنظمة الأخرى التي تعتبر المصلحة محددًا وحيدًا لها، بغض النظر عن أي وازع خلقي، ولهذا فإن «أنسنة» الاقتصاد منهج إسلامي بامتياز

نص الحوار:

لو عدنا للفقيه المتخصص باعتباره قطب الرحى كما يقولون، نجد بعضا من الفقهاء يتعاملون مع قضايا البنوك برؤى تقليدية أو قديمة، في حين أن قضايا مثل الأوراق والصكوك وقضايا التعاملات والشركات وتنوعها والتداخل بين الاقتصاد العالمي والاقتصاد المحلي بها قدر عال من التعقيد.. والسؤال: هل يستطيع الفقيه أن يتعامل مع تلك التعقيدات بنفس الرؤى والاجتهادات السابقة؟

لا يمكن، وهذا قد يدفعنا أولا لتحديد مفهوم أو مصطلح الفقيه الاقتصادي بنظرة تأملية فاحصة في مضمونه.

الفقيه الاقتصادي يجب أن يمتلك آلية الجمع بين فقه النص وفقه الواقع، فقه شرعي يراعي الواقع والحياة الاقتصادية والقضايا والمشكلات المتعلقة بهذا المجال.

والإشكالية الآن تتمثل في إيجاد أفراد تتوافر فيهم تلك المهارة، بدلا من الفقهاء الذين لا يدركون الواقع الاقتصادي بتعقيداته المعروفة، فيهربون إلى التراث الفقهي المجرد من النظرة الواقعية، ويلجأون إلى استيراد قضايا ومشكلات وقعت في زمن غابر لتنزيلها على واقع مغاير.

د.النوري: الاقتصاد الإسلامي مشروع للإنسانية

في القضايا الاقتصادية، هناك بعض المفتين في مجتمعات بعينها يوسعون الأمور توسيعا كبيرا حتى لا تجد هناك حدودا للحرام أو المعاملات المحرمة، ويضيقها آخرون في أماكن أخرى حتى تنال بعض الأمور الجائزة، برأيكم ما هي حدود المرونة الفقهية الاجتهادية في القضايا المالية؟

يجب أولا أن يعي الجميع الفرق بين المرونة والتساهل، المنهج الوسطي الإسلامي الشامل تركز في جانب الاقتصاد الإسلامي على فكرة التوازن، والتي هي الفكرة المحورية في مختلف النظريات الاقتصادية، حتى الغربية منها.

التوازن أو الوسطية لا تتم بشكل حسابي، لكنها وسط بين التشدد والتساهل، هي منهج إسلامي أصيل، بمعنى أنك يجب أن تراعي القواعد الفقهية والمقاصدية العامة، وهي القواعد التي تقود عملية التفكير في إنتاج الفتوى، مثل قاعدة : التيسير مقابل التعسير، غير أن التيسير لا يعني التفلت والبحث عن الحيل الشرعية التي تفقد الفتوى الاقتصادية الإسلامية مغزاها، وتضعها في مهب الريح، يتلاعب بها الآخرون كما يشاءون.

هل أصبحت هناك حساسية في مجتمعاتنا نتجت عن اختلالات الدخول والاحتكارات مما جعل الناس يحاولون تنفيسها عن طريق استصدار الفتاوى في هذا الشأن؟

نعم.. الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي على حالة من الاختلال والتباين بالشكل الذي يدفع الناس إلى اتخاذ مواقف تنفيسية أكثر منها تعبيرا عن حاجة حقيقية لقضايا واقعية يعيشونها.

ما هو تصوركم لتنمية فكرة الفقيه الاقتصادي والنهوض بها؟

أعتقد أنه على الجامعات الإسلامية، وتحديدا المتخصصة في الاقتصاد الإسلامي منها، أن تحاول تكثيف المادة الشرعية لأهل الاقتصاد وتكثيف المادة الاقتصادية لأهل الشرع لإعادة التوازن المفقود بينهما مما يؤدي لفتاوى متشددة لا تراعي الواقع، أو آراء منفلتة تتصادم مع الشرع.

نريد فقيها اقتصاديا ملما بفقه النص وفقه الواقع، وفي تصوري أن هناك بعض الجامعات الإسلامية المتخصصة في الاقتصاد تتجه بالفعل نحو تحقيق تلك المعادلة، وهي بناء شخصيات إسلامية تجمع بين الزاد الفقهي والزاد الاقتصادي.

عودة إلى طبيعة النظام الاقتصادي الإسلامي.. هل تعد فكرة «الأنسنة»، التي سبق الإشارة إليها، هي الميزة الوحيدة للاقتصاد الإسلامي؟

لا.. الاقتصاد الإسلامي له خصائص

وبالمقابل نجد بعض الاقتصاديين الذين لا يملكون أي زاد معرفي شرعي أو فقهي يستنبطون حلولا يمكن الاستفادة منها واقعيا، غير أنها تفتقد للإطار الشرعي تماما.

واعتقادي الشخصي أنه لو استطعنا دمج هذين العنصرين وإحداث نوع من التكامل بينهما فسندخل في إطار العمل المؤسسي المحترف في مجال الاقتصاد الإسلامي، فالاشتباك الفكري بين العلماء الشرعيين والخبراء الاقتصاديين سيؤدي إلى بلورة حلول عملية وناجعة للإشكاليات الاقتصادية المطروحة، مما يؤسس لنظرية الإفتاء الجماعي المؤسسي. وهنا لابد أن أشيد بالمؤتمر الاقتصادي (مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول) الذي أدارته بمهارة دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.

هل تعتقد أن هذا الإفتاء الجماعي أو «المؤسسي» يعد بديلا مؤقتا لأزمة عدم وجود الفقيه الاقتصادي أو مخرجا لعدم توافره؟

لا أعتقد أنه بديل مؤقت، ولكنه هو الحل النهائي، نحن في عصر انتقلنا فيه من آحادية التفكير والرأي إلى الفكر الجماعي والمتعدد والحواري مع الآخر، ويجب - من ناحية أخرى - أن نعترف أن نموذج العالم الموسوعي لم يعد موجودا في عصرنا كما كان موجودا في عصور سابقة شهدت علماء من أمثال ابن رشد والرازي مثلوا موسوعات متحركة في مختلف جوانب المعرفة.

وحتى لو توفر مثل ذلك الفقيه أو العالم هذه الأيام، يبرز تحد آخر هو تشعب قضايا العصر وتطوراته حاليا بشكل لم يعد يقدر على مواجهتها فرد مهما كانت قدرته، نحن في عصر بحاجة إلى الكثير من الترشيد الفكري والعملي.

هناك إشكالية تتعلق بالمرونة الفقهية الاجتهادية

الفقيه الاقتصادي يجب أن يمتلك آلية الجمع بين فقه النص وفقه الواقع

مميزة أساسية أخرى، فهو أخلاقي قيمي، ونحن نعرف أنه في التاريخ الاقتصادي الغربي حدث صراع طويل بين كبار علماء الاقتصاد هناك حول ماهية الاقتصاد وعلومه، هل هو اقتصاد وضعي أم اقتصاد قيمي، وتطور هذا الجدل بينهم حتى انقسم الفكر الاقتصادي الغربي إلى قسمين: قسم يعتقد أن الاقتصاد لا علاقة له بالدين وبالأخلاق وبالقيم، وقسم آخر يقول إن أفكارنا الاقتصادية حبلى بالقيم، وبالتالي يطالبون بإعادة صنع الاقتصاد وإضفاء البعد الأخلاقي عليه.

وهذا ما كشفت عنه الأزمة الراهنة، حيث إن النظام الاقتصادي الرأسمالي السائد حاليا افتقد بشكل جوهري خطير للأبعاد الأخلاقية والقيمية، وهو الذي أدى إلى هذه الكارثة، لذلك تجد كثيرا من عقلاء الغرب ينادون بإرشاد أخلاقي وبتوجيه قيمي لما تبقى من النظام الاقتصادي العالمي.

والسمة المميزة الثانية للاقتصاد الإسلامي هي جوهر الأولى، وهي الصفة الإنسانية، بمعنى أن الإسلام يفترض أن الإنسان هو منطلق العملية الاقتصادية وغايتها النهائية، وهناك لقطة أخرى لهذه القيمة الإنسانية، وهي أن الاقتصاد الإسلامي إنما هو مشروع للإنسانية كلها، وليس للمسلمين فقط، وهذا أصل في كثير من توجيهات الإسلام، لذلك قد تجد الله عز وجل يبدأ خطاباته في كتابه بـ: «يا أيها الناس...».

أما القيمة الثالثة للنظام الاقتصادي الإسلامي فهي أنه نظام متوازن، ليس هناك نظرية اقتصادية قادرة على إحداث التوازن مثل النظرية الإسلامية، وهذا الكلام بدون مبالغة، وقد اعترف به كثير من عقلاء الغرب الاقتصاديين.

ولمن لا يعرف، هناك عالم اقتصاد فرنسي عملاق يدعى «موريس آليه» (Maurice Allais)، حائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٨٨م، وهو من الاقتصاديين الغربيين المشهورين بانتقادهم للنظام الاقتصادي الغربي، والآن عمره حوالي مائة سنة ولا يزال حيًا، هذا الرجل كتب كثيرا حول شروط النقدية لاقتصاد الأسواق، ووصل إلى أنه لتحقيق التوازن الاقتصادي في النظام الاقتصادي القائم لا بد من شرطين: الشرط الأول أن يكون المعدل الضريبي في المجتمع ما يقارب اثنين بالمائة لا يزيد على ذلك، وإلا أثر سلبا على التوازن، والمفارقة أن تلك النسبة مساوية تماما لنسبة الزكاة.

والشرط الثاني هو أن يكون معدل الفائدة (معدل تداول النقد في السوق) مساويًا للصفر أو قريبا من الصفر، وهذا ما يقابل تحريم الربا في الإسلام، هذا الكلام أيضا نادى به العالم الاقتصادي الفذ «كنز»، قال نفس الكلام، والخلاصة أن كثيرا من العلماء الآن يقولون إنه لا بد من تخفيض سعر الفائدة إلى الصفر، ولكن هناك نقطة تمييزية بين مبدأ تحريم الربا في الإسلام ومبدأ تخفيض سعر الفائدة.

مبدأ تخفيض سعر الفائدة إلى الصفر لا يعني إبطال هذا السعر، ولكن المبدأ ذاته «التخفيض» قد يكون قائما لو تم تخفيض سعر الفائدة إلى واحد، أما الإسلام فإنه ينادي بتعطيل تلك الآلية تماما وإبدالها وإحلال آلية أخرى محلها، هي آلية المشاركة في الغنم والغرم، في الربح والخسارة.

بدون فائدة.. كيف؟

ولكن إذا افترضنا إمكانية دوران عجلة الاقتصاد بدون مبدأ الفائدة، وهي ممكنة بالطبع، فكيف ستربح مؤسسات اقتصادية مثل البنوك مثلا؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نفرق أولا بين آلية عمل البنوك التقليدية ونظيرتها الإسلامية، البنوك التقليدية تقوم في أساسها على الفائدة، ونستطيع أن نقول إنها بنوك إقراض «تسليف»، فهي تأخذ الأموال من المودعين وتقرضها إلى من يطلبها مقابل فائدة ثابتة، أما البنك الإسلامي فلا يقرض أموالا مباشرة على الإطلاق، لكنه يعطي السلع التي يطلبها العميل حسب حاجته، فهو تاجر ومستثمر وليس مقرضا.

وهذا فرق شاسع بين البنك التقليدي الذي هو بنك إقراض فقط يأخذ أرباحا وينتظر، يأخذ من هذا ويعطي هذا، ويتقاضى نسب أرباح قد تكون ثلاثة بالمائة.. خمسة بالمائة، وهو لا يدخل في الغنم ولا في الغرم، بينما البنك الإسلامي يدخل في المخاطرة، يأخذ أموالا من المودعين، يدخل ليستثمرها مع أصحاب مشاريع بشراكة أو بمضاربة،

أو استصناعا، أو سلما إلى آخره، ويتحمل جزءا من المخاطر.

الفرق الأساسي الثاني هو مسألة المخاطر، وهذه إشكالية حقيقية في النظام الاقتصادي العالمي الآن، كيف يمكن تحمل المخاطر؟ هل يتم ترحيل المخاطر، بمعنى أنه عندما تتعرض لمخاطر المشروع تحملها لغيرك، وترحلها وتنقلها إلى الطرف الآخر وتبقى أنت في حل منها، هذه طريقة مرفوضة بالطبع.

ولكن البنك الإسلامي لا يرحل المخاطر، البنك الإسلامي يقوم على مبدأ المشاركة في الربح والخسارة، في الغنم وفي الغرم، فهذا مبدأ أساسي في كل المعاملات الإسلامية، وهو يختلف اختلافا جذريا مع مبدأ ترحيل المخاطر الذي تقوم عليه البنوك التقليدية.

تعني أن فكرة الفائدة نفسها انتقلت إلى فكرة ربحية بحتة؟

الربح ليس عيبا، ولكن له آلية منطقية ومحددة، وهي التي تستخدمها البنوك الإسلامية، وهي آلية المشاركة في الربح والخسارة عوضا عن آلية الفائدة.

هذا التحليل قد يقودنا إلى سؤال آخر، هل الإشكال الرئيسي بين الاقتصاد الإسلامي وغيره يكمن فقط في مشكلة الفائدة، كما يحلو لبعض الخبراء أن يقولوا ؟

الفائدة هي أداة، هي وسيلة وليست غاية، إلغاء الفائدة ليس غاية في حد ذاته، هو أداة من أجل التخصيص أو التوزيع الأمثل للموارد، بمعنى عندما يكون عندك رأس مال مع عمل كيف يمكن أن تصنع توليفة مثلى من أجل الوصول إلى أفضل إنتاج أو أفضل منتج، هذا هو الاقتصاد، تعظيم المنافع، كيف يمكن أن نعظم المنافع الاقتصادية من خلال وسائل الإنتاج أو عناصر الإنتاج المتوافرة، علما أن دالة الإنتاج التي يقوم عليها النظام الرأسمالي الكلاسيكي والنيوكلاسيكي هي دالة تجمع بين عنصر رأس المال وعنصر العمل.

هذه الدالة صيغت على أساس مجتمعات غربية فيها فائض من رأس المال وفيها نقص من العمالة، هذه الدالة تم تصديرها إلى العالم الإسلامي هكذا دون التفكير، وطبقت وأدت إلى نتائج عكسية.. لماذا؟ لأنها الدالة معكوسة، رأس المال منقوص، والعمالة كثيرة، فنحن بحاجة إلى دالة إنتاجية إسلامية، تقوم على خصائص الواقع الاقتصادي الإسلامي.

لماذا لا ننشئ كيانات مالية إسلامية بعيدة عن النظام القائم باستحقاقاته وشروطه المخالفة لمبادئ شريعتنا؟ هل هناك ضغوط في إطار العولمة تضغط على المسلمين لكي يتبعوا النظام القائم؟

نعم.. وللأسف هذه مفارقة يشعر بها كل الناس، خاصة النخب والمثقفين في العالم الإسلامي، تتمثل في البون الشاسع بين ما يمكن أن يقوم به العالم الإسلامي في ظل توافر ثرواته المادية والطبيعية والبشرية وبين ما هو عليه الآن.

وهذه المفارقة تعود لعوامل كثيرة، تاريخية وحضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، يطول شرحها، ولكن الواقع أن العالم الإسلامي الآن يقبع في أسفل درجات السلم رغم إمكاناته الهائلة؛ لأننا نعيش في دورة حضارية قوامها الرئيسي سيادة الحضارة الغربية، وإن كانت قد بدأت في الأفول هذه الأيام، لكننا لم نتأهل بعد أن نكون بديلا عنها.

فنحن في مخلب النسر نرى العالم من أعلى، لكننا في قبضته، ولكن يبقى أن نقول إن النظام الاقتصادي الرأسمالي، باعتراف قادته وخبرائه، يعيش حالة ترهل وشيخوخة وهرم، وهو مقدم على حالة انهيار، البشرية مرت عليها أربع أو خمس أو ست أنظمة اقتصادية، كلها انهارت وسقطت، وتغيرت، وهذا النظام ليس نشازا عنها، بالتالي لا بد أن يتغير وأن يحل محله نظام اقتصادي آخر.

النظام الاقتصادي المعمول به في الدول الإسكندنافية رأسمالي مطعم بالضمانات الاجتماعية.. هل من الممكن أن يكون منافسا أو بديلا؟

أي نظام اقتصادي، كما يقول مفكرو ومنظرو الاقتصاد، يشتمل على روح وطبيعة، أما الروح فتتمثل في الفلسفة أو الخلفية الفكرية والثقافية التي يستند إليها هذا النظام، والمتمثلة في الهوية العقدية الدينية، وبدون تلك الهوية فإن هذا النظام مهما شمل من قيم ومثل جيدة لا يلبث أن ينهار وأن يسقط.

ولذلك فالنظام الاقتصادي الذي يطبق في هذه البلدان التي ذكرتها، برغم العدالة الاقتصادية والاجتماعية، يفتقر إلى هذه المرجعية الثقافية والفكرية، والنظام الوحيد الآن الذي يشتمل على هذه المرجعية الثقافية هو النظام الإسلامي، وهو نظام كما قلت في بداية الحديث إنساني يلتقي مع هذه التجارب الجزئية في كثير من المبادئ، وفي كثير من المثل والقيم.

موقف الإسلام إزاء الأزمات والضوائق العامة

بقلم
د. محمد ياسر منصور
• كاتب اسلامي
• باحث في الدراسات الاجتماعية الإسلامية.
• محاضر زائر بمختلف الجامعات الإسلامية.

تنتاب البشرية في كل عصر وحين، كوارث مهلكة، وفواجع أليمة: حروب، ومجاعات، أزمات اقتصادية، أعاصير وبراكين وزلازل مدمرة.

والإسلام أولى هذه النوازل كثيراً من العناية، وعظيماً من الاهتمام، بقوانين مكتوبة سنها، وأعمال تطبيقية قام بها.. وقد سلك في هذا الميدان سياسة حازمة، فجعل أولي الأمر مسؤولين في الدرجة الأولى، وبالغ في إلقاء المسؤولية على كواهلهم، ثم أشرك معهم في كثير من الظروف الموسرين على اختلاف طبقاتهم.

خاطب الإسلام أولي الأمر ليجعلوا منه وسيلة فعالة لمواجهة ومحاربة الأزمات والضوائق العامة والخاصة، وفرض على المسؤولين أن يسنوا من التشريعات والأنظمة ما يصل بالرعية إلى هذه النتيجة.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين شيئاً فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون خلته وحاجته وفقره يوم القيامة).

ومعنى هذا الوعيد - بالنسبة للدنيا قبل الآخرة - تعظيم شأن الاهتمام بحاجيات

الشعوب، حتى إن الإخلال به يعد من أعظم المخالفات وأكبر الجرائم.

وقد جاء هذا الإنذار في صيغ أخرى، ومنها الرواية التي تقول:

(ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماوات دون حاجته وخلته ومسكنته).

وروى معاذ هذا المعنى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال:

(من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة).

وإن الإسلام لم يكتف بتوجيه هذا الخطاب إلى الرؤساء الأعلين وحدهم، وإنما نادى به - أيضاً - رؤساء الولايات وأمراء الأقاليم، ليحذوا حذو تعاليم الإسلام في هذا الميدان، ومن أمثلة هذا ما جاء عن أبي عثمان النهدي قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد فقال:

(يا عتبة إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ولا كد أمك، فأشبع المسلمون في [illegible] مما تشبع منه في رحلك، [illegible] وزي أهل الشرك، ولبوس الحرير).

هكذا يخاطب الإسلام أولي الأمر - على

تفاوت درجاتهم - ليجعلوا منه وسيلة فعالة لإزاحة البؤس والنكبات عن الشعوب المغلوبة على أمرها.

ومع هذه المسؤولية الكبرى التي يلقيها الإسلام على كواهل أولي الأمر نراه يخاف أشد الخوف من أن لا يستطيع هؤلاء تحمل مسؤولياتهم في هذا الصدد، إما لعجز الخزينة المالية، أو لأسباب أخرى، لهذا يتوجه الإسلام - بدافع المحافظة على هذه الدعامة - إلى الموسرين من الشعب ليمارسوا بدورهم تحمل مسؤولياتهم في مواجهة النكبات والكوارث العامة والخاصة.

والإسلام إذ يتوجه - في هذه المرة - إلى الموسرين، لا يقصد بهم الطبقة العليا من الأغنياء وحدها، وإنما يقصد سائر الذين يفضل لهم فضل عما يمسكون به حياتهم، فهؤلاء كلهم يخاطب الإسلام نخوتهم وسخاءهم، ويفرض عليهم أن يعينوا بكل ما في استطاعتهم لسد حاجيات إخوانهم المنكوبين، وهذه بعض النصوص والوقائع

الاسلام بسماحته يدعو الموسرين لتخفيف الضوائق العامة والخاصة

التاريخية التي تدعو الموسرين للعمل على تخفيف الضوائق العامة والخاصة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم، يخاطب جمعاً من الصحابة الكرام:

(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له).

قال راوي الحديث جابر بن عبد الله: ﴿فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحدٍ منا في فضل﴾.

فهذا الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري يأمر بمعونة المحتاجين بكل أنواع الإعانات: بالمركوب، بالزاد، بكل أصناف المال، وهو أصل كبير في وجوب مواساة المصابين في الأزمات والكوارث المهلكة.

وقد شرح كثير من فقهاء الإسلام هذا الأصل شروحاً وضحت معنى المعاونة والمؤازرة الشعبية المطلوبة، فالمازري في شرح هذا الحديث يؤكد بأن الأمر الوارد فيه ليس قاصراً على عصر النبوة، وإنما هو أمر وجوب إلى يوم القيامة.. وعياض يشرحه في العبارة التالية: تجب المواساة عند الحاجة في كل شيء من مال أو إعانة في عمل أو غير ذلك - وما أحسن كلام ابن حزم في شرح هذا المعنى حيث قال:

(وفرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ولا في سائر أموال المسلمين، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء

الشعور بواجب المواساة كان سائداً ولا يزال عند المسلمين

والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر، والصيف، والشمس، وعيون المارة.

ومن كلام ابن العربي المعافري في هذا الموضوع:

(لا يحل للأغنياء أن يهملوا الفقراء، بل يغنوهم مما في أيديهم، ألا ترى أنه لو سرق مال رجل لتعين على الناس إغناؤه وجبر ما ذهب له مما يغني مفاقره، ويجبر مكاسره.

فمن هذه النصوص السابقة الذكر نخرج بالخلاصة التالية: في حال ما إذا خيف الضياع على المنكوبين، يكون واجباً على الموسرين من الشعوب الإسلامية - في كل عصر وزمان - أن يقوموا بمواساة منكوبيهم.. بالإعانة في الأعمال، وبما يجب لهم من القوت واللباس والمسكن الصحي، وبسائر أنواع المعونات.

وبعد هذا يحسن أن أشير إلى أن هذا المبدأ قد نفذ عملياً حيناً من الزمن في عصر النبوة وبعض العصور بعده، فقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم الغزو مرة فقال:

«يا معشر المهاجرين والأنصار.. إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة، فليضم أحدكم إليه الرجلين أوالثلاثة».. قال جابر بن عبد الله (راوي الحديث): فضممت إلي اثنين أو ثلاثة ومالي إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملي.

ولم تكن قضية جابر (رضي الله عنه) هي الوحيدة التي طبق فيها هذا المبدأ، وانما هناك وقائع أخرى عديدة سار فيها سادات الأمة على هذا الصراط السوي.

فقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على الأشعريين فقال إنهم إذا أرملوا في الغزو - (نفد زادهم وافتقروا) - جمعوا زادهم وتواسوا فيه، هم مني وأنا منهم.

«من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»

وجعل الخليفة عمر - عام الرمادة - على كل شخص مثله وقال: لن يهلك أحد على نصف شبعه.

وصح عن أبي عبيدة بن الجراح وثلاثمائة من الصحابة أن زادهم فني فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم في مزودين، وجعل يقوتهم إياها على السواء.

في العصور الإسلامية الأولى كان الشعور بواجب المواساة عند الحاجات سائداً في المجتمع، على أننا لا نعدم في العصور الأخرى أفراداً - وإن كانوا قلائل - يدعون لإحياء هذه الروح الإنسانية، ويعملون بها في خاصة أنفسهم.

وفي الختام.. أود أن ألفت النظر إلى أن الإسلام كثيراً ما يرغب في العطاء الضخم والإعانة الوفيرة.. لنتدبر هذا النداء النبوي الذي يخاطب النخوة الإسلامية فيقول:

(ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعس (قدح) وتروح بعس، إن أجرها لعظيم).

فإذا عرفنا ما تساويه الناقة الجيدة في وقتنا، ندرك مقدار المواساة التي يرغب فيها الإسلام. وما عطايا الرسول الكبيرة، وتبرعات غير واحد من الصحابة في شتى المناسبات، إلا تجاوب مع هذه الدعوة الإسلامية التي نرجو أن تشرق على

يا معشر المهاجرين والأنصار.. إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة، فليضم أحدكم إليه الرجلين أوالثلاثة

نفوسنا جميعاً حتى نؤدي واجبنا نحو إخوتنا المحتاجين والمنكوبين في شتى أصقاع العالم.

(وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

المراجع:

١- صحيح مسلم وبعض شروحه.
٢- تقييد للشيخ جعفر الكتاني في وجوب إعانة المحتاج.
٣- الإسلام ومناهج الاشتراكية.
٤- الإسلام المفترى عليه.

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في حوار مع «الضياء»:

نصف سكان العالم الإسلامي.. أميون!!

حوار
بسيوني الحلواني - القاهرة

حذر الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) من خطورة تفشي ظاهرة الأمية في العالم الإسلامي، مشيراً إلى أن الإحصاءات الحديثة تكشف عن ارتفاع معدلات الأمية في معظم الأقطار العربية والإسلامية، بعد أن وصل المعدل العام إلى ٤٥,٥٪.. وجدد مطلب المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بعقد قمة إسلامية لمناقشة تفاقم ظاهرة الأمية في العالم الإسلامي، واتخاذ خطوات وقرارات واقعية وعملية لمواجهتها خاصة أن العديد من الهيئات والمنظمات المعنية تقف عاجزة عن محاصرتها، فالواقع العلمي والثقافي والفكري الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن يؤكد ضرورة اتخاذ مواقف سياسية واقتصادية فاعلة لمواجهة مشكلة الأمية ووضع قضايا التربية والتعليم والثقافة على خريطة اهتمامات الحكومات الإسلامية.

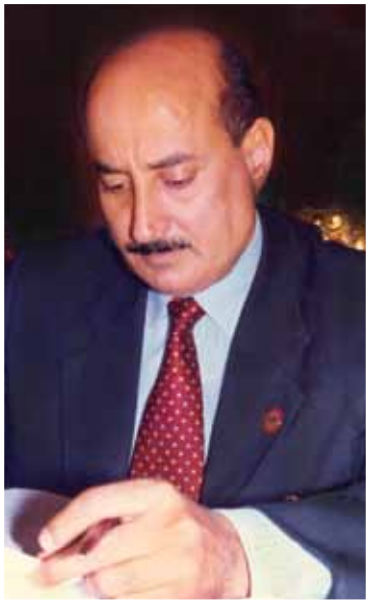

حذر الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) من خطورة تفشي ظاهرة الأمية في العالم الإسلامي، مشيراً إلى أن الإحصاءات الحديثة تكشف عن ارتفاع معدلات الأمية في معظم الأقطار العربية والإسلامية، بعد أن وصل المعدل العام إلى ٤٥,٥٪.. وجدد مطلب المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بعقد قمة إسلامية لمناقشة تفاقم ظاهرة الأمية في العالم الإسلامي، واتخاذ خطوات وقرارات واقعية وعملية لمواجهتها خاصة أن العديد من الهيئات والمنظمات المعنية تقف عاجزة عن محاصرتها، فالواقع العلمي والثقافي والفكري الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن يؤكد ضرورة اتخاذ مواقف سياسية واقتصادية فاعلة لمواجهة مشكلة الأمية ووضع قضايا التربية والتعليم والثقافة على خريطة اهتمامات الحكومات الإسلامية.

ورفض الدكتور التويجري محاصرة الهيئات والمنظمات الإسلامية بالاتهامات، وتجسيد كل السلبيات والنقائص من أنشطتها، مؤكداً أن هذه الهيئات والمنظمات على تنوع أنشطتها ترحب بكل نقد موضوعي يستهدف الإصلاح والتطوير.. لكنه كشف عن نوايا بعض الكتاب والمثقفين العرب الذين يحاصرون كل عمل إسلامي بالاتهامات دون دليل بهدف تشويه صورته وتعويق أدواته ووسائله عن تحقيق الأهداف الإسلامية والوطنية التي تسعى إلى تحقيقها.

وطالب الدكتور التويجري في حواره الشامل مع «الضياء» بالعمل على تنمية الوعي بأهمية التعليم والبحث العلمي

في كل أقطارها الإسلامية، مؤكداً أن العلم والتكنولوجيا هما السلاح الأقوى للمسلمين في معارك الحياة وفي المواجهة الحضارية مع الآخرين، وأن اكتسابهما يبدأ من المراحل الأولى للتربية والتعليم للفرد والمجتمع.

كما طالب الدكتور التويجري بالتأني في اتخاذ مواقف من السياسات التي يروج لها الغرب وفي مقدمتها قضية «العولمة»، وأكد أن المؤسسات العلمية والثقافية في العالم الإسلامي ترحب بالعولمة إذا كانت وسيلة للانفتاح والتواصل الثقافي بين الأمم دون عدوان على هويات الشعوب وثقافتها.. أما إذا كانت العولمة وسيلة جديدة للهيمنة الثقافية والمواجهة الحضارية فنحن نرفضها ونحذر منها، فقد عانى العالم الإسلامي كثيراً من هيمنة الغرب الثقافية، ولن يفرط المسلمون - مهما كانت التحديات التي تواجههم - في هويتهم الحضارية.

وفيما يلي نص الحوار الذي أجرته معه «الضياء» خلال زيارته الأخيرة للقاهرة:

مشكلة الأمية

رغم التوسع الكبير في المؤسسات التربوية والتعليمية والوعي المتزايد بأهمية التعليم وضرورته في عالمنا الإسلامي.. إلا أن الإحصاءات ونتائج الدراسات العلمية تدق ناقوس الخطر.. فنسبة الأمية تتضاعف في معظم الأقطار الإسلامية، والفجوة العلمية بين الغرب والعالم الإسلامي تتسع يوماً بعد يوم.. كيف ترون واقع مشكلة الأمية والتخلف العلمي في عالمنا الإسلامي؟ وكيف نخرج من هذا النفق المظلم لنعيد بناء مجتمعاتنا الإسلامية على أساس من العلم والتقدم الذي يعتبره الإسلام فريضة على الأمة الإسلامية؟

في الواقع، تعتبر مشكلة الأمية من

نطالب بقمة إسلامية لمواجهة أخطار الأمية والتخلف العلمي في الأقطار الإسلامية

أخطر المشكلات التي تفرض نفسها على واقعنا التعليمي والثقافي والفكري في العالم الإسلامي.. فالإحصاءات الدقيقة المتوفرة لدينا في بنك المعلومات بالإيسيسكو مخيفة ومحزنة، فمعدل الأمية في بلدان العالم الإسلامي يبلغ ٤٥,٥٪. أي أن نصف سكان العالم الإسلامي تقريباً يعانون من الأمية.. ومشكلة الأمية كما نعرف لا تقتصر على الجهل بالقراءة والكتابة، فالأمية تلقي بظلالها على كل خطط ومشروعات التنمية وتعتبر من أهم مظاهر التخلف والتراجع الحضاري، فالإنسان لا يتعلم لكي يجلس على مكتب ويشغل وظيفة.. لكنه يتعلم لكي يعرف كيف يفكر وكيف يبحث عن حل علمي للمشكلات التي تواجهه ويطبق كل إنجازات العلوم والمعارف لحل مشكلاته ومشكلات مجتمعه..

وقد يعتبر البعض ارتفاع معدلات الأمية في عالمنا الإسلامي نتيجة عكسية للجهود التي تبذل في قطاعات التربية والتعليم والثقافة انطلاقاً من الاهتمام المتزايد بقضية التعليم وارتفاع معدل الوعي الاجتماعي بضرورته لكن الواقع العملي والرصد العلمي للظاهرة يؤكد عكس ذلك..

فالإحصاءات المتوفرة لدينا في الإيسيسكو تؤكد أن معدل الإنفاق الحكومي على التعليم في دول العالم الإسلامي لا يزيد على ١٥,٦٪ إلا في حالات قليلة وينزل هذا المعدل إلى نسبة ٢٪ في معظم الحالات، وهذا أكبر مظاهر التراجع الحضاري في مجال التربية والتعليم في عالمنا الإسلامي.. ونلاحظ أنه على الرغم من المجهودات التي تبذلها حكومات بلدان العالم الإسلامي للنهوض بمستويات التربية والتعليم في كل المجالات، إلا أن ظاهرة الأمية لا تعرف تراجعاً في عدد كبير من هذه البلدان، هذا بالإضافة إلى القصور الواضح فيما يتعلق بمستوى مردودية حركة التعليم من حيث القيمة والمضمون، وهو الأمر الذي يشير إلى أن كثيراً من الجهود التي تبذل في هذا المجال الحيوي تضيع هدراً.

وخطورة الواقع الذي نعيشه في عالمنا العربي والإسلامي تربوياً وتعليمياً لا تتوقف عند مشكلة الأمية التي تتضاعف معدلاتها.. بل هناك مظهر آخر يؤكد تراجعنا الحضاري في مجال التعليم وهو ضعف الاهتمام بالبحث العلمي في جميع حقول العلم، وعلى مختلف المستويات، إذ لا يتعدى معدل الإنفاق الحكومي على البحث العلمي في بلدان العالم الإسلامي نسبة واحد في المئة من مجموع الإنفاق الحكومي العام وذلك في أكثر الأقطار اهتماماً بالعلم والتكنولوجيا، وعددها ضئيل للغاية، وينعكس هذا العجز الذي يطبع الحياة العلمية في أقطار العالم الإسلامي بدرجة واضحة على حجم مراكز البحث العلمي وعددها في هذه الأقطار، إذ أن المراكز المتخصصة في العلوم والتكنولوجيا لا يزيد عددها على ١٨٨٥ مركزاً، بينما يصل عدد العلماء الباحثين في حقول العلوم والتكنولوجيا إلى سبعة ملايين و٨٦٤ ألف عالم، وهذا العدد يعادل نسبة ٣,٧٪ من المجموع الكلي لتعداد الباحثين العلميين في العالم، ومن المعلوم أن المعيار الدولي الذي تعتمده اليونسكو لنسبة العلماء المتخصصين في العلوم والتكنولوجيا إلى تعداد السكان هو عالم باحث واحد لكل ستة آلاف نسمة، وحسب

هذه هي الأسباب الحقيقية لتخلف المسلمين وتراجعهم العلمي والحضاري

العلم والتكنولوجيا هما سلاح المسلمين لاستعادة أمجادهم الحضارية ومواجهة أخطار العولمة

المؤشرات والإحصائيات المتوفرة لدينا في مركز المعلومات في الإيسيسكو فإن هذه النسبة في دول العالم الإسلامي تصل إلى ٤,١٧٠ لكل مليون نسمة.. بينما تتراوح هذه النسبة في الدول المتقدمة صناعياً وعلمياً بين ١٢ ألفاً و٦٠ ألف عالم باحث لكل مليون نسمة.

والحقيقة.. تجسد هذه الفروق الشاسعة حقيقة الأوضاع العلمية المتخلفة في العلوم الإسلامية وتكشف في الوقت نفسه عن طبيعة الواقع غير الطبيعي الذي يسود الحياة العلمية في هذا العالم الشاسع الذي يملك من الموارد والمؤهلات ما يوفر أمام الباحثين كل الإمكانيات والوسائل لتحقيق نهضة علمية تكنولوجية حقيقية، إذا ما سارت الأمور في الاتجاه العلمي الرشيد.

وبما أننا أمام وضع علمي بالغ الضعف والعجز ويشكل معوقات خطيرة أمام تنمية البلدان الإسلامية فإننا ندق ناقوس الخطر، ونحذر بأعلى صوتنا من استمرار هذا الوضع.. وقد قمنا في الإيسيسكو ببعض واجباتنا وحذرنا من هذا الوضع وخاصة في إستراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية التي وضعناها.. أما فيما يتعلق بمشكلة الأمية فهي تحتاج جهوداً ضخمة وتستوجب تعبئة شاملة على المستوى الوطني والقومي والإسلامي لمواجهتها، وقد وضعنا برنامجاً عملياً يحمل اسم «البرنامج الإسلامي لمحو الأمية والتكوين الأساسي للجميع في البلدان والجماعات الإسلامية»، وشعوراً من المنظمة بأن تنفيذ البرنامج الإسلامي لمحو الأمية يتوقف على قرارات سياسية عليا قد وجهت نداء إلى قادة العالم الإسلامي دعوتهم فيه إلى عقد قمة إسلامية تخص لمعالجة قضية الأمية المتفشية في الأقطار الإسلامية دون استثناء وإن كان الوضع العملي للتطبيق يختلف من دولة إلى أخرى حسب الوجود الفعلي للمشكلة.

أهداف الإيسيسكو

.. تعدت الهيئات والمنظمات العاملة في حقل التربية والعلوم والثقافة في العالمين العربي والإسلامي.. ومع ذلك لم نر تعاوناً وتنسيقاً بالصورة التي تحقق التكامل بين الدول العربية والإسلامية في هذه المجالات الحيوية.. ترى ما أسباب ذلك؟ وهل هناك ما يبرر وجود منظمة إسلامية للتربية والعلوم والثقافة في ظل وجود المنظمة الدولية والمنظمة العربية؟

في الواقع وجود هذه المنظمات الثلاث أمر ضروري وحيوي.. فلا يوجد تداخل بين أهداف المنظمة الإسلامية وأهداف المنظمتين: الدولية والعربية.. بل يوجد تكامل وتنوع في الأهداف ومجالات العمل وهذا مطلوب، لأن كل الأهداف في النهاية تصب في قناة واحدة وتحقق التنوع الفكري والثقافي والعلمي المطلوب لإنساننا المسلم الذي يواجه تحديات كثيرة وخطيرة تربوياً وثقافياً وعلمياً.. ولذلك لا نستطيع القول إن جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة يمكن أن تغني عن جهود المنظمة الدولية (اليونسكو) والمنظمة العربية «الإليسكو».. وليس صحيحاً أن تأسيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة سنة ١٩٨٢م كان مجرد تجسيد لمبدأ التضامن الإسلامي.. فالتضامن الإسلامي في حد ذاته مطلوب وهدف تسعى كل دول العالم الإسلامي إلى تحقيقه.. بل جاءت هذه المنظمة تحقيقاً لأهداف أكثر تنوعاً، وتعبيراً عن إحدى ضرورات التعاون العلمي والثقافي بين أقطار العالم الإسلامي، واستجابة لحاجة يشتد إلحاحها إلى تضافر الجهود وتكاملها بين هذه المجموعة البشرية المتجانسة تاريخياً، وحضارياً، وثقافياً.. ومن هنا كان إنشاء هذه المنظمة ـ تجاوباً مع متطلبات العصر، وتكيفاً مع ضروراته، بل كان حتمية من الحتميات العلمية والثقافية التي فرضت نفسها على واقعنا العلمي والفكري والثقافي، وفرضت على الأمة أن تنسق جهودها في هذه الميادين.

لذلك لا ينبغي أن نقلل من أهمية وجود مثل هذه المنظمات الإسلامية التي تسعى إلى تجسيد وحدة الأمة وتكامل جهودها.. وسواء نظرنا إلى تأسيس هذه المنظمات الإسلامية من زاوية الحضارة الإسلامية الواحدة وما يستوجبه الانتماء إلى هذه الحضارة من السعي الحثيث لتعميق الترابط وتقوية التماسك بين الشعوب التي تنتمي إليها.. أم نظرنا إلى ذلك من زاوية المصلحة المادية والفائدة فإن الأمر الذي لاشك فيه هو أن وجود منظمات إسلامية متخصصة سواء في شؤون الدعوة والإغاثة الإسلامية، أو في الميادين

والحقول المعرفية والحضارية هو مكسب بالغ القيمة والأهمية، ويجب أن توظف هذه الهيئات والمنظمات لتحقيق أهدافها الكبرى وفي مقدمتها تحقيق التضامن والتكامل بين الشعوب الإسلامية في هذه المجالات المتنوعة وأن تتكامل جهود هذه الهيئات والمنظمات لكي ترفع من مستويات التنمية البشرية في الأقطار الإسلامية من منطلق تطوير النهضة التربوية والعلمية والثقافية فيها، وبما يستجيب لمتطلبات البناء الحضاري الشامل.

تحديات خطيرة

الواقع يؤكد أن الهيئات والمنظمات المتفرعة عن منظمة المؤتمر الإسلامي تواجه تحديات كثيرة ولا تحقق أهدافها على أرض الواقع.. هل يرجع ذلك لحالة الفرقة التي تعيشها الأمة؟ وماذا قدمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في ظل هذه التحديات التي تقف في طريق العمل الإسلامي الجماعي؟

صحيح أن الهيئات والمنظمات المتفرعة عن منظمة المؤتمر الإسلامي تواجه تحديات كثيرة وخطيرة وأن هذه التحديات تتعاظم في كل محاولات بث بذور الفرقة والانقسامات بين أقطار العالم الإسلامي.. لكن من الظلم القول ان هذه الهيئات والمنظمات لم تحقق نتائج إيجابية على أرض الواقع، فهذا ادعاء ظالم ويجافي الحقيقة، وأنا لن أتحدث عن انجازات الهيئات والمنظمات الأخرى التي حققت كثيراً من الأهداف التي رسمتها لنفسها.. لكن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي أشرف بإدارتها وتنظيم شؤونها مع فريق عمل متكامل حققت أهدافاً كثيرة، ويشهد الوقع أن وجودها كان ضرورة من الضرورات الملحة، على مستويات عديدة، فقد عززت هذه المنظمة وبصورة واضحة العمل الإسلامي المشترك في قنواته الشرعية، وهي منظمة المؤتمر الإسلامي، وما يتفرع عنها، أو يعمل في إطارها من المنظمات والمؤسسات الإسلامية، فأضفت على العمل الجماعي في هذا الإطار الصبغة التي كان يفتقدها، وهي الصبغة الثقافية في مدلولها العام، والصبغة العلمية في مفهومها الشامل، وهذا ما أكسب العمل الإسلامي المشترك مزيداً من القوة والفاعلية.. فقد جعلت «الايسيسكو» من التضامن الإسلامي حقيقة واقعية ذات أبعاد تربوية وعلمية وثقافية، فلأول مرة في هذا العصر تلتقي دول العالم الإسلامي حول إطار تنظيمي للعمل التربوي والعلمي والثقافي، تعمل من خلاله لتحقيق أهداف أصبحت هي القاسم المشترك بين الأقطار الإسلامية، تعلو فوق كل الخلافات السياسية، وترتفع إلى ذروة الإجماع الذي تتوحد في ظله الإرادات والمصالح.

محاصرة الهيئات والمنظمات الإسلامية بالاتهامات والسلبيات تستهدف تقويض مسيرتها

ومن أهم الإنجازات التي تتشرف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وتفتخر بتحقيقها وضع ثلاث استراتيجيات للعمل التربوي والعلمي والثقافي تشكل في مجموعها إطاراً علمياً لتطوير قدرات الأمة وإمكاناتها في هذه الحقول المعرفية.

الأولى: استراتيجية تطوير التربية في البلاد الإسلامية التي اعتمدها المؤتمر العام للايسيسكو من دورته الثالثة المنعقدة في عمان من شهر نوفمبر ١٩٨٨، ويتكون المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية من وزراء التربية والتعليم في الدول الأعضاء.

الثانية: الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي التي اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي السادس المنعقد في داكار من ديسمبر سنة ١٩٩١م، وقد جاءت هذه الاستراتيجية ثمرة ندوات واجتماعات للخبراء، وخلاصة أربع سنوات من البحث والدراسة والتحليل ومن المقارنة والتأمل واستقراء الواقع الثقافي للعالم الإسلامي.

الثالثة: استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية التي اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامي الثامن الذي عقد في طهران في شهر ديسمبر سنة ١٩٩٧.

وهذه الاستراتيجيات الثلاث تشكل الأركان الرئيسية لاستراتيجية المعرفة التي تنبع من خصوصيات الهوية الحضارية للأمة، والتي تلبي احتياجات التنمية البشرية في حقول التربية والعلوم والثقافة والتي تقدم ولأول مرة في تاريخ العالم الإسلامي المعاصر الإطار المعرفي في شموليته وعمقه وامتداده، وفي استيعابه لمتطلبات النهضة العلمية والمادية الواقعية، لا النهضة النظرية والعاطفية الخيالية.

والى جانب الجهود الكبيرة التي بذلت لإنجاز هذا العمل الحضاري الذي يوجد توجهات الأمة ويحقق التكامل بين جهودها التربوية والعلمية والثقافية تعمل المنظمة الإسلامية لتحقيق العديد من الأهداف من أجل رقي الفكر، وتقدم العلم، وتنمية القيم الإنسانية على صعيد العالم الإسلامي في امتداده الجغرافي وعمقه الحضاري.. وهذه الانجازات التي حققتها الايسيسكو في عمرها القصيرة لا ينبغي أن تقاس بالأرقام وبالاحجام، وإنما تقتضي الرؤية العلمية النظر إلى طبيعة العمل الذي تنهض به هذه المنظمة، ولذلك فإن انجازاتها تقاس بالمقياس الحضاري، وتوزن بميزان المصالح الاستراتيجية للبلدان الإسلامية قاطبة.

تقويم الهيئات الإسلامية

من وجهة نظرك.. لماذا تحاصر المنظمات والهيئات الإسلامية بالاتهامات ويجسد البعض فيها كل السلبيات؟

الهيئات والمنظمات الإسلامية على تنوع نشاطاتها في عالمنا العربي والإسلامي تعمل في إطار تكاملي وتسعى إلى تحقيق الأهداف المرسومة لها، ومن الطبيعي أن تتأثر هذه الهيئات والمنظمات بالتحديات التي يعاني منها العمل الإسلامي العام، فهي تتأثر بالمجتمع والمناخ العام الذي تعيش فيه كما تؤثر هي في هذا المناخ..

وتقويم نشاط هذه الهيئات والمنظمات ضرورة بهدف الاصلاح والتطوير وتحسين مستوى الأداء.. لكن التقويم والإصلاح لا يعني الهدم ومحاصرة هذه الهيئات والمنظمات بالاتهامات وتجسيد كل الأخطاء والسلبيات والنقائص فيها.. فنحن نرحب بالنقد الهادف البناء ونعتبره من أهم مقومات العمل الناجح لأن العاملين في المنظمات والهيئات الإسلامية أكثر حرصاً من غيرهم على النجاح والانضباط وتحقيق الأهداف المرسومة لمنظماتهم وهيئاتهم، ولذلك فهم يرحبون بكل نقد هادف وكل نصيحة مخلصة توجه إليهم.. لكن للأسف نلاحظ أن البعض يبالغ في اتهاماته للمنظمات الإسلامية دون وجود براهين وأدل على ما يقول وهؤلاء يستهدفون -بلا شك- تقويض مسيرة هذه المنظمات وشغلها بمجادلات ومعارك كلامية.. لكن العاملين في المنظمات الإسلامية مدركون لذلك.

العولمة التي نريدها

أصبح الحديث عن العولمة الفكرية والثقافية وفوائدها ومضارها لعالمنا العربي والإسلامي يتضمن كثيراً من المتناقضات.. في الوقت الذي يرى فيه بعض الكتاب والمثقفين في بلادنا العربية والإسلامية أن العولمة تمثل انفتاحاً فكرياً وثقافياً جديداً لعالمنا العربي والإسلامي

تخلفنا في ميادين التربية والعلوم والثقافة واقع لا ننكره.. وهذه خطوات الإصلاح

وللإنسان المسلم الذي يجب أن يتعايش مع عصره وينفعل ويتفاعل مع كل ما يحدث فيه نجد البعض الآخر يحذر من أخطار العولمة ويعتبرها صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية التي يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم من أجل فرض ثقافته وإخضاع العالم لهيمنة حضارته..

كيف ينظر المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة لقضية العولمة وأخطارها أو فوائدها لعالمنا العربي والإسلامي؟

نعم.. قضية العولمة من أحدث القضايا المثيرة للجدل والخلاف في عالمنا الإسلامي وتختلف النظرة إليها باختلاف التوجهات الفكرية والثقافية، فبعض الكتاب والمفكرين يرون في قضية العولمة في المجال الفكري والثقافي انفتاحاً ثقافياً جديداً.. والبعض الآخر يتوجس خيفة من الغرب ومن كل ما يفد إلينا منه من سياسات ومواقف.. لكن ينبغي أن نتعامل مع قضية العولمة من خلال نظرة موضوعية، فالعالم الإسلامي جزء من العالم ينبغي أن يتفاعل معه وينفعل بما يحدث فيه، ينبغي أن يتأثر ويؤثر في هذا العالم، والأقطار العربية الإسلامية لها علاقاتها المتنوعة بالعالم الغربي سياسياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً.. ولذلك فنحن في العالم الإسلامي نرحب بالعولمة إذا كانت وسيلة جديدة للتواصل الفكري والثقافي مع الأمم والشعوب الأخرى ونرفضها ونقف في طريقها إذا كانت صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية وتوجيه هويات الشعوب وثقافات الأمم بحيث تنصهر في هوية الغرب وثقافته... لأن العولمة بهذا المفهوم الأخير تتعارض مع قواعد القانون الدولي، ومع طبيعة العلاقات الدولية فضلاً عن تعارضها مع السيادة الوطنية لكل أمة..

والخلاصة: إننا نرحب بالعولمة إذا كانت وسيلة من وسائل التنوع الثقافي ونؤكد أن ديننا وحضارتنا لم يعرفا إطلاقاً ما يمكن أن نطلق عليه «الانغلاق الثقافي» فنحن أصحاب دين عالمي وأصحاب حضارة قادرة على أن تسود العالم وأن تحقق للبشرية ما تصبو إليه من أمن وأمان واستقرار، وواجبنا كمسلمين ان ننفتح على حضارة العالم وأن نعرف الآخرين بعقيدتنا وتجاربنا الحضارية.. إننا ننظر إلى العولمة على أنها أداة جديدة يمكن أن تحقق التفاعل بين الثقافات والحضارات إذا قامت هذه العولمة على أسس وقواعد ثابتة، وسادها الاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب.

ولذلك لا ينبغي أن نتخذ مواقف عدائية من العولمة أو غيرها من السياسات الثقافية التي تنطلق من الغرب أو غيره حتى نقف على أهدافها الحقيقية.. بمعنى ألا نتسرع في اتخاذ مواقف وتبني سياسات «مع» أو «ضد» حتى تتضح لنا الحقائق كاملة.

هذه أسباب تخلفنا

تعددت رؤى العلماء والمفكرين والباحثين في تشخيص أسباب ودوافع ما تعاني منه الغالبية العظمى من أقطار العالم الإسلامي خاصة في مجال التخلف العلمي، ورأينا كيف وقع بعض كتابنا وباحثينا الذين تربوا علمياً وثقافياً على مناهج الغرب وموائده

الفكرية والثقافية.. في الفخ الذي حفره لهم بعض المستشرقين والصقوا تهم التخلف والركود الحضاري بالتوجهات الإسلامية.. من وجهة نظرك.. ما أسباب التخلف الحضاري والعلمي الذي نعاني منه في عالمنا العربي والإسلامي؟

لا أعتقد أن باحثاً أو مفكراً موضوعياً يمكن أن يردد ما ردده بعض المستشرقين المتعصبين والمتطرفين عن وجود علاقة بين حالة التخلف التي تعاني منها كثير من مجتمعاتنا العربية والإسلامية وبين التوجهات الإسلامية.. فكل الباحثين الموضوعيين والمفكرين المحايدين قد اثبتوا هذه العلاقة في كتاباتهم وإنتاجهم الفكري، لكنهما علاقة عكسية.. فالمسلمون تخلفوا لأنهم تجاهلوا قيم دينهم وتخلوا عن مبادئه وتوجهاته التي تحث على العلم والبحث والاستقصاء وإعمال العقل..

وباستقراء دلالات الواقع الثقافي ومعطياته نجد أن تخلف العالم الإسلامي عن ركب التقدم يعود إلى سببين رئيسيين:

أولهما: سبب هيكلي له صلة بالنظم التعليمية والتربوية، وبالمناهج الاقتصادية والاجتماعية، وبأساليب الإدارة والتسيير.

وثانيهما: سبب وظيفي يتعلق بطرق استثمار الموارد الطبيعية والبشرية المتوافرة، واستخدام الإمكانات والوسائل المتاحة، والتحكم في اتجاهات العمل العام الذي يرتبط بحياة المواطنين.

لذلك لابد أن تولي الدول الإسلامية قضية التربية والعلوم والثقافة والاتصال أهمية أكبر، بحيث يرتفع الاهتمام بهذا الجانب من جواب البناء في المجتمعات الإسلامية إلى المرتبة الأولى في سلم الاهتمامات الوطنية في كل دولة من دول العالم الإسلامي بحيث تكون التعبئة العامة من أجل كسب رهان التحدي في ميادين التربية والعلوم والثقافة قضية وطنية تستنفر جهود كل فئات المجتمع.

لابد أن تولي الدول الإسلامية قضية التربية والعلوم والثقافة والاتصال أهمية أكبر

ولن يتحقق ذلك إلا إذا ارتفعت درجة الوعي على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي بقضية التعليم والاستفادة من كل إنجازات العصر العلمية لتحقيق التنمية الشاملة لمجتمعاتنا الإسلامية، فالحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع أن العلم والتكنولوجيا هما السلاح الأقوى في معارك الحياة وأن اكتسابها يبدأ من المراحل الأولى للتربية والتعليم للفرد والمجتمع.

وعلى الرغم من مظاهر التخلف عن ركب التقدم التربوي والعلمي والثقافي في العالم التي تسود معظم أقطار العالم الإسلامي، فإن هناك ظواهر إيجابية مشجعة تمنحنا الثقة في المستقبل، وتؤكد أن الكثير من دول العالم الإسلامي بدأت تسير في الاتجاه الصحيح نحو تحقيق النهضة الحضارية الشاملة على الرغم من التعثر الذي يكتنف هذه المسيرة، والتي يمكن التغلب عليها من خلال الجهود المتواصلة التي تبذل على المستوى الوطني والإقليمي والعربي والإسلامي للرفع من مستويات التعليم وتطوير البحث العلمي، وهذا يفرض علينا مزيداً من التنسيق والتعاون لتحقيق التكامل المنشود.

مأساتنا في جهل لغتنا

أحمد العيسوي - كاتب صحفي مصري

كفى لغتنا العربية فخراً أن خصها الله تعالى لتكون لغة القرآن الكريم من بين لغات العالم كافة، قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها) صدق الله العظيم، وهذا أبلغ دليل على عدم ضياع لغتنا لأن الله حفظها لكنها اضمحلت على أيدينا وبسببنا نحن لأننا أهملناها وابتعدنا عنها لنتقرب من لغات لا طعم لها ومصطلحات لا نفهم لها معنى، فكان بعدنا عن لغتنا هو مأساتنا الحقيقية.

اختلفت تسميات لغتنا الحبيبة فسميت اللغة العربية نسبة للناطقين بها وهم العرب سكان الجزيرة العربية، ولغة القرآن لأن الله نزل القرآن معجزة خاتم الأديان بها، لغة الضاد حيث إن حرفاً من حروفها لا يوجد في أي لغة من لغات العالم وهو حرف الضاد.

لغتنا شجرة طيبة جذورها نحو وأشعار وبحور، جذعها بلاغة وإطناب وجناس، أغصانها سجع وكناية، ثمارها مدح وتورية وهجاء، لغتنا العربية بحر لا ينضب من يبحر به تغوص سفينته في بحور شعره يعود بعذب الكلمات ونفيس المفردات وشيق العبارات، حقاً هي لغة القرآن.

لو أن للغة العربية لساناً لنطقت وقالت أهنتموني وضيعتموني في زمنكم هذا، حقاً وصلت لغتنا إلى أن أصبحت لغة هجين ضاعت هيبتها وجمالها وملامحها بين اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية وبين اللغة العامية، دخلت عليها مفردات ومصطلحات أشبه بالمخلوقات الغريبة التي كانت تظهر لنا في أفلام الخيال العلمي تغزو كوكب الأرض، هكذا مفردات ومعان دخيلة على لغة الحصافة والبلاغة خالية من الجمال والمعنى شوهتها فلا تطيق الأذن سمعها رغم ذلك أصبحت متداولة بيننا.

لقد طالب الكثير من علمائنا وأساتذتنا بحماية لغتنا العربية من سيطرة اللغات الأجنبية على مجتمعاتنا، وكم من كتب تناولت خطورة اللغة العامية على لغتنا الحبيبة وما أحدثته من تشويه لصورة اللغة الجميلة. لا أدعو لمقاطعة اللغات الغريبة على لغتنا ولكن أدعو إلى أن نجعلهم يهرولون ليتعلموا لغتنا ويتقنوها كما نفعل نحن، أدعو لإعادة هيبة لغتنا وقيمتها بأن نغرس في نفوس أطفالنا قيمة وعظمة لغتنا التي من خلالها نستطيع قراءة قرآننا وتدبره وفهم سيرة نبينا الكريم، وأن ندعم مناهجنا ومدارسنا بكل ما يثري لغتنا ويعيد لها بريقها وقوتها.

الإدارة في الإسلام

بقلم
د. محمد عمر عبد الرحيم
خبير النظم الإدارية.
دكتوراه في علم الإدارة – السودان

الإدارة ظاهرة ترافق وجود المجتمعات السياسية، فحيث يوجد مجتمع سياسي منظم توجد الإدارة.
هناك من يذهب إلى أن الإدارة قد بدأت في الصين، إذ أن الصينيين هم أول من اشترط اختبارات معينة بالنسبة للمرشحين للدخول في الوظائف الحكومية حتى يتم تعيينهم، أي أنهم أول من أخذ بنظام الجدارة للتعيين في الوظائف العامة..
وهناك من يذهب إلى أن مصر القديمة قد بلغت درجة كبيرة من التقدم في التنظيم والكفاءة.
وكذلك يوجد من يذهب إلى أن الإغريق كانت لهم إدارة متقدمة.
وهناك أيضا من يذهب إلى أن الرومان طبقوا العديد من مبادئ الإدارة في تنظيم وإدارة الجيوش والإدارات المدنية المختلفة،المنتشرة في كافة أرجاء الإمبراطورية الواسعة، وقد عُرف الجهاز الإداري للدولة الرومانية بأنه أضخم جهاز إداري بيروقراطي في التاريخ.

ونرى في سياق هذه اللمحة التاريخية الموجزة أن نعرض لمثال تاريخي بارز للإدارة، هو مثال الإدارة في مصر القديمة.

لقد أقام المصريون القدماء نظاماً للإدارة تميز بالخصائص التالية:

أولاً: اعتماد التخطيط:

لقد اعتمد المصريون خلال العصر الفرعوني، التخطيط لتقدير محصولات الغلال الزراعية سنويا، وقاموا بإنشاء المقاييس لقياس منسوب المياه ومقدار الفيضان في كل عام، واستطاعوا التوصل إلى توقع هل سيكون العام عام ازدهار أم عام نقص في المحصول؟.

ثانياً: استخدام الإحصاء:

استخدم المصريون القدماء الإحصاء لمعرفة عدد السكان، وتقدير الثروات بغية تقدير الضريبة على الدخل.

ثالثاً: تطبيق نظام متطور للوظيفة العامة:

راعى المصريون القدماء الكفاءة الإدارية في اختيار الموظفين، وطبقوا نظام تدريب الموظفين على أعمالهم.

رابعاً: التميز ببعض الخصائص الحديثة:

لقد تميز الجهاز الإداري في العصر الفرعوني ببعض الخصائص التي يتميز بها الجهاز الإداري للدول الحديثة، مثل تضمنه لإدارات متنوعة ومتعددة حسب المهام الموكولة إليها، ومثل تضمنه نظاما للسجلات والوثائق وكتابة التقارير ونظاما للأجور والرواتب.

اهتمام الإسلام بالإدارة

تجلت معاني الإدارة الإسلامية في الصور الآتية:

١- التعاون في الوصول إلى حكم الشرع.
٢- محاولة كشف الأخطاء الملازمة للإدارة.
٣- الوصول إلى الحل السليم لما يجد من الأمور.

وهناك علاقة وطيدة بين الإدارة والشريعة الإسلامية، فقد أشار القرآن الكريم بلفظة الإدارة في قوله تعالى: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٨٢) وفي السنة النبوية إشارة أخرى في حديث كعب بن عجرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال: (لا تقوم الساعة حتى يدير الرجل أمر خمسين امرأة) رواه الطبراني.

ونجد أن أدوات الإدارة الرئيسة هي:

١- التخطيط.
٢- التنظيم.
٣- التوجيه.
٤- الرقابة.

فضلا عن بعض النظم والأساليب الفرعية الأخرى المستمدة من القرآن الكريم، ومن سنة نبينا القائد الإداري الحكيم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ولنستعرض أمثلة على هذه الأدوات الأربعة (والمسماة بوظائف العملية الإدارية):

١- التخطيط: هو عبارة عن عملية فكرية تعتمد على المنطق والترتيب والتقدير والمرونة وإيجاد البدائل، ومن شواهده في القرآن قوله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبًا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون. ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ (سورة يوسف، الآيات: ٤٧-٤٩)، وبهذا التوجيه القرآني الذي هدى الله إليه يوسف عليه السلام، فإن المسلم مُلزَم بالتخطيط المستقبلي لتفادي النكبات والأزمات التي قد تحيط بالأمة في كل مجال. ومن الأحاديث النبوية الدالّة على التخطيط والعمل لتفادي تقلبات المستقبل حتى يحمي الإنسان نفسه ومَنْ تحت ولايته قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) وأيضًا قوله للأعرابي الذي ترك ناقته عند باب المسجد دون أن يعقلها: «اعقلها وتوكل»، وفي هذا الحديث إشارة للإداري المسلم بأن يربط التوكل على الله بالاحتياط والتخطيط الذي لا يتنافى مع التوكل، ولا مع القضاء والقدر.

٢- التنظيم: هو بيان وتحديد الهيكل الذي تنتظم فيه علاقات السلطة والمسؤولية وهو كيان حي متحرك ولابد من إعداده ليتلاءم دائمًا مع المتغيرات الداخلية والخارجية، وهو ما جاء به الإسلام قال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ (سورة الزخرف، الآية: ٣٢)، وهذا غاية في التنظيم، فهو تنظيم الكون والحياة بأجمعها. ونجد في قدوم النبي صلى الله عليه وسلم أولى خطوات التنظيم وهي المؤاخاة حيث قال: (تآخوا في الله أخوين أخوين) فآخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا نواةً لتنظيم المجتمع.

٣- التوجيه: هو القدرة على السير الصحيح مع الموظفين، وهدايتهم وتوجيههم مع إيجاد روح الود والحب والرضى والانتماء للعمل. ولقد اعتنى الإسلام بالتوجيه وأولاه رعاية خاصة لشحذ الهمم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٥٩)، وهذا توجيه أعلى للقائد والحاكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ (سورة البقرة، الآية: ٢٣٧)، وهذا توجيه عام للمحكومين والعامة.

٤- الرقابة: هي عملية ملاحظة نتائج الأعمال التي سبق تخطيطها ومقارنتها مع الأهداف التي كانت محددة واتخاذ الإجراءات التصحيحية لعلاج الانحرافات، وهي غاية الأمر ومنتهاه، فبعد التطبيق الكامل يأتي دور التأكد من أن تنفيذ الأهداف المطلوب تحقيقها في العملية الإدارية تسير سيرًا صحيحًا حسب الخطة والتنظيم والتوجيه، ولعل الإداري المسلم المؤمن هو المدرك حق الإدراك حقيقة الرقابة، والعمل على إنفاذها سواء على نفسه أو على غيره، ومن شواهد الرقابة في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ وقوله عز وجل: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ ومن السنة النبوية حديث جبريل عليه السلام: (... فأخبرني عن الإحسان؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك... الحديث)، وهذا من أعظم أنواع الرقابة الذاتية، وهنا يتفاضل الناس ليس فقط بمقدار ما يحملونه من (علوم) الإدارة، بل أيضًا بمقدار ما يُجيدونه من (فنونها) وأساليب تطبيقه.

بداية النهضة الإسلامية في الإدارة وقصة تطوره:

لقد ظهرت فكرة التخطيط منذ تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة على يد الرسول الكريم، فقد حدد صلى الله عليه وسلم الأهداف وأولوياتها، والاحتياجات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف وفقًا للسياسات التي نزلت بها الشريعة السمحة، وقد تم حصر الإمكانات المادية والبشرية المتوافرة آنذاك للعمل على استكمالها من أجل تحقيق أهداف الدولة الناشئة.

ومن ثَمَّ يمكن القول بأن إدارة الدولة الإسلامية لم تكن تتبع الأساليب العشوائية، وإنما كانت تتم بأسلوب علمي وموضوعي بأخذ الأسباب لمواجهة توقعات المستقبل.

ولقد كان التخطيط آنذاك تخطيطًا شاملاً لمجالات الحياة كافة.

لقد أدخلت النظرية الإسلامية بعدا اجتماعيا مهما ومؤثرا في السلوك الإداري داخل المنظمة، وهو البعد الأخلاقي. فلا إدارة في الإسلام بلا أخلاق، كما أنه لا يوجد مجتمع إسلامي بلا أخلاق.

١- نظرية الإدارة في الإسلام مرتبطة بالنظرة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، ومرتبطة بأخلاقيات وقيم المجتمع الإسلامي (المتغير الاجتماعي الأخلاقي).
٢- نظرية الإدارة في الإسلام تركز الاهتمام على المتغير الاقتصادي والحافز المادي، وتعمل على إشباع حاجات الفرد الفسيولوجية (المتغير الاقتصادي المادي).
٣- الشورى في الإدارة عنصر أساسي.
٤- النظرية الإسلامية تهتم بالعوامل الإنسانية والروحية، وتحترم الإنسان كإنسان، وتشركه في العملية الإدارية، كل حسب مقدراته العقلية وإمكانياته واستعداداته النفسية (المتغير الإنساني).
٥- تهتم النظرية الإسلامية بالنظام وتحديد المسؤوليات، وتحترم السلطة الرسمية والتنظيم الرسمي، وتحترم الهيكل التنظيمي، وتطلب الطاعة بالمعروف (متغير السلوك والنظام). (الإدارة الإسلامية د. فوزي كمال أدهم).

حكم الولايات في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن المبادىء الإدارية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم هي إيجاد مجتمع فاضل منظم في حكومته وشؤون إدارته، وقد حاول النبي إيجاد ذلك أيام كان في مكة، ولكن معارضة قريش له وسوء معاملتهم إياه وأصحابه اضطراه إلى أن يأمر أصحابه بالهجرة، ثم هاجر هو بنفسه إلى المدينة فوجد الجو صالحا لإقامة حكومة ذات أنظمة وقوانين وتعاليم ترعى الدين الجديد وتحميه.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة يمثل السلطتين المدنية والروحية معاً، وبعد فتح مكة وانتشار الإسلام خارج المدينة، وامتداد حدود الدولة الجديدة إلى أطراف أخرى، وتَشَكُّل الأقاليم والمقاطعات والولايات الإسلامية اقتضت الحاجة الإدارية الاستعانة بالولاة والأمراء والعمال.

نظَّم الرسول صلى الله عليه وسلم شؤون حكومته الإدارية والديوانية تنظيما كاملا بعد أن استقر أمره بالمدينة وقد اتخذ من المسجد مقرا لحكومته، ففيه كان يجلس الرسول صلى الله عليه وسلم للناس، ويستقبل الوفود ويحكم بينهم، ويفقههم في أمور دينهم، وفيه كان مسكنه في حجرات خاصة.

ابتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم التنظيم الإداري من خلال تعيين العمال في الولايات والمدن والقبائل المختلفة لتعليم الناس أحكام القرآن والتفقه في الدين وإقامة الصلاة وجباية أموال الزكاة لإنفاقها على مستحقيها والقضاء بين الناس. فعين عتَّاب بن أسيد واليا على مكة بعد فتحها سنة ثمانٍ للهجرة وهو دون العشرين من العمر وفرض له راتبا شهريا قدره ثلاثون درهماً، فكان ذلك أول راتب خصص للعمال والولاة كما ولَّى الرسول صلى الله عليه وسلم الحارث بن نوفل الهاشمي بعض أعمال مكة، وعيّن أبا بكر الصديق بعد غزوة حنين.

وكان للنبي أمراء ولّاهم المدينة عند خروجه منها ومنهم السائب بن عثمان الذي أمره عليها عند خروجه إلى غزوة (بواط) في السنة الثانية للهجرة، كما أناب سعد بن عبادة عندما غزا (ودان)، وأناب الإمام علي بن أبي طالب عندما غزا (تبوك).

كتاب: (الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم) د. رحيم كاظم الهاشمي أ. عواطف محمد شنقارو

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين بمجلس للشورى، كما كان يتخذ كُتَّابا للمراسلات بينه وبين الملوك والحكام المجاورين، فقد كان عبد الله بن الأرقم يجيب على الملوك والرسل، وكان له كاتب للعهود هو علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، كما كان له صاحب سر هو حذيفة بن اليمان، واتخذ قائما على خاتمه وتسمي المصادر الحارث بن عوف المري، كما تذكر أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضع على خاتمه الربيع بن صيفي ابن أخي أكثم.

واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوم على المداينات، وكان له ترجمان بالفارسية والقبطية والرومية هو زيد ابن ثابت، وقيل: إنه كان يترجم أيضا من الحبشية والعبرية.

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل ولاة في شبه الجزيرة العربية فكان منهم عتاب بن أسيد الذي استعمله على مكة، ومعاذ بن جبل الذي أرسله قاضيا على اليمن.

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله وسفراءه إلى الملوك، فأرسل حاطب ابن أبي بلتعة إلى المقوقس، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي.

وكان للدولة الإسلامية ميزانيته، أودعها بيت مال المسلمين رغم بساطة تلك الميزانية، وكان الفيء يقسم على المسلمين حاضري الموقعة، ومن المهم الإشارة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد إحصاء الناس تمهيدا لإنشاء الديوان إلا أنه لم ينشأ إلا في عهد الفاروق عمر رضي

الله عنه.

ورغم البساطة التي تتسم بها الإدارة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنها وضعت للمجتمع الإسلامي نواة التنظيم الإداري الذي سار عليه الخلفاء الراشدون الذين أضافوا إلى هذا التنظيم ما وجدوه ضرورياً، وما أملته ظروف حياتهم، وما اجتهدوا فيه من أجل خدمة مصالح الأمة.

أما النظام الإداري للدولة الإسلامية في عهدالصديق رضي الله عنه فهو امتداد للنظام الإداري في عهد النبوة، إلا أن بعض عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوا أن يعملوا لغيره، ومع ذلك فقد صار الصديق على النهج الذي عايشه في عصر النبوة، كما اتخذ الفاروق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وزيرين له، وتولى له الفاروق عمر رضي الله عنه - بالإضافة إلى ذلك - القضاء، وقام أبو عبيدة بن الجراح على بيت المال.

أما مجلس شوراه فكان يتكون من الفاروق عمر، وذي النورين عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومن بينهم كان عثمان بن عفان وزيد بن ثابت يكتبان له.

ووّلى الصديق رضي الله عنه العمال على الأقاليم والبلدان داخل شبه الجزيرة العربية وخارجه: فكان عتاب بن أسيد واليا على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، والمهاجر بن أبي أمية على صنعاء، وزياد بن أبيه على حضرموت، ويعلى بن أمية على خولان، والعلاء بن ثور الحضرمي على زبيد وزمع، ومعاذ بن جبل على الجند، وعبد الله بن ثور على جرش.

وكانت أجناد الإسلام في عهده في الشام، وقوادهم: أبو عبيدة بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان.

وقواد المسلمين في العراق: عياض بن غنم الفهري، وكان خالد بن الوليد القائد العام على جميع الأجناد.

وفي عصر الفاروق رضي الله عنه شهد النظام الإداري نقلة حضارية كبرى تمثلت في مدى اهتمام الخليفة وعنايته الفائقة بالنظم الإدارية، ففي عهده رسخت التقاليد الإدارية الإسلامية. ويقول الطبري: في هذه السنة ١٥ هـ - ٦٣٦ م فرض عمر للمسلمين الفروض ودوَّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة. وهذا يؤكد مرونة العقلية الإسلامية وقبولها لتطوير نفسه، وتمثل هذا في اهتمام الفاروق رضي الله عنه بتنظيم الدولة الإسلامية إدارياً، وخاصة أن الفتوحات الإسلامية قد أدت إلى امتداد رقعة الدولة الإسلامية في عهده، ففصل السلطة التنفيذية عن السلطة التشريعية وأكد استقلال القضاء، كما اهتم بأمر الأمصار والأقاليم ووطد العلاقة بين العاصمة المركزية والولاة والعمال في أجزاء الدولة الإسلامية.

وكان عمر رضي الله عنه شديدا مع عمال الدولة الإسلامية، كان يوصيهم بأهالي الأقاليم خيراً، فيروي الطبري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس يوم الجمعة فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، إني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم، وأن يقسموا فيهم فيئهم، وأن يعدلوا، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه إلي....

وشهد عصره إضافة إلى ذلك تنظيمات إدارية متنوعة فوضع أساس بيت المال ونظم أموره، وكان يعسُّ ليلا ويرتاد منازل المسلمين، ويتفقد أحوالهم، وكان يراقب المدينة ويحرسها من اللصوص والسُّرَّاق، كما كان يراقب أسواق المدينة ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم وهو في هذا كله يتأسَّى بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه شهدت المدينة تطورات إدارية محدودة وإن كانت على درجة من الأهمية، فقد تحول العسس الذي كان في العهود السابقة إلى نظام له أصول وقواعد ومهام محددة هو نظام الشرطة، ومع ذلك يمكن القول: إن الأوضاع الإدارية سارت على ما كانت عليه في عهد الفاروق، وربما يرجع السبب في محدودية الإضافة للنظم الإدارية في المدينة إلى اضطراب الأقاليم والظروف السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية مما أعاق خليفة المسلمين عن إحداث تطورات جذرية فيها بشكل يتناسب مع المدة التي قضاها ذو النورين خليفة للمسلمين.

وكذلك كانت الأحوال في عصر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد كان شديدا في الحق يعدل في الرعية، وعرف عنه أنه كان يقسم ما في بيت المال لا يترك فيه شيئاً، من ذلك ما فعل بعد بيعة أهل البصرة حيث نظر في بيت مالها فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه الوقعة.

ويمكن أن نستنبط من خطب علي كرم الله وجهه نظمه الإدارية وأوامره وتوجيهاته لعمال الأقاليم. فمن خطبه في أهل المدينة: إن الله عز وجل بعث رسولا هاديا مهديا بكتاب ناطق، وأمر قائم واضح، ولا يهلك عنه إلا هالك، وأن المبتدعات والشبهات من المهلكات إلا من حفظ الله، وأن في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره به، والله لتفعلنَّ أو لينقلنَّ الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأزر الأمر إليه. انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يفرقوا جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذي عليكم.

ففي سنة ست وثلاثين فرق علي كرم الله وجهه عماله على الأقاليم؛ فبعث

عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام لكنه لم يصل إليها، وعاد إلى المدينة التي اختلطت فيها الأمور، وخاصة أن ولاة عثمان في البلدان قد تأثروا بمقتله، من ذلك موقف عبد الله بن عامر أمير مكة الذي ذهب إلى أم المؤمنين عائشة، وكانت حين قتل عثمان رضي الله عنه بمكة تؤدي عمرة المحرم، فلما أتاها عبد الله سأله: ما الذي ردَّك يا أم المؤمنين؟ وكانت في طريقها إلى المدينة؛ فقالت: رَدَّني أن عثمان قتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تُعزُّوا الإسلام؛ فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر.

ويروي الطبري في أخبار سنة تسع وثلاثين للهجرة: كان عبد الله بن عباس يلي البصرة لعلي بن أبي طالب فكان يقوم على الصدقات والجند.

تاريخ النظم والحضارة الإسلامية د. فتحية النبراوي

بيان اختلاف المفهوم الإسلامي للإدارة عن المفهوم الوضعي له:

لقد ورد عدة تعريفات للإدارة الإسلامية، منها أنها تلك الإدارة التي يتحلى أفرادها قيادة وأتباعا، أفرادا وجماعات، رجالا ونساء، بالعلم والإيمان عند أدائهم لأعمالهم الموكلة إليهم على اختلاف مستوياتهم ومسئولياتهم في الدولة الإسلامية، ومنها أيضا «أنها الإدارة التي يقوم أفرادها بتنفيذ الجوانب المختلفة للعملية الإدارية (التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة) على جميع المستويات وفقا للسياسة الشرعية، والسياسة الشرعية هنا تعني السياسة التي تقوم على مبادئ وأصول الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فيما يتعلق بالأحكام والعقائد والعبادات والمعاملات وذلك لجلب المصالح ودرء المفاسد.

كما يرد تعريف آخر للإدارة الإسلامية قد يشمل المشاريع العامة والخاصة بأنها أي نشاط مشروع مقصود صادر عن فرد أو جماعة في فترة زمنية معيَّنة لتحقيق هدف مباح محدَّد (المزجاجي، ص٤٤) وعلى ضوء التعريفات السابقة يمكن بيان اختلاف المفهوم الإسلامي للإدارة عن المفهوم العلماني الوضعي لها في الآتي:

من حيث الفكر أو المنهج:

نجد أن جميع مدارس الإدارة بلا استثناء تركز على المفهوم المادي الدنيوي البحت دون أي ربط بالدين أو الحياة الأخرى، مما جعل نتائجها وآثارها تدور في حلقة مفرغة منذ ظهورها وإلى وقتنا الحاضر؛ لأنها أفكار جزئية قاصرة مصدرها اجتهاد العقل البشري وحده بعيدا عن هدي الوحي الذي هو المصدر الرئيسي للمنهج، أو الفكر الإداري الإسلامي مع عدم إغفال دور العقل في الاجتهاد المشروع.

من حيث الهدف والغاية:

نجد أن الإدارة الإسلامية تهدف إلى تحقيق معنى العبودية لله عز وجل، وعمارة الكون وفق منهج الله لقوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣)، بخلاف الغاية والهدف في المفهوم الوضعي للإدارة الذي لا يتجاوز الإطار الدنيوي فهو يهدف إلى إشباع الشهوات والغرائز بلا ضوابط مع التأثر بالشبهات التي تخلخل العقيدة وتضعفها في نفس الفرد المسلم؛ فينعكس ذلك على سلوكه فيصبح مقلدا وتابعا لغير المسلمين.

من حيث الوسيلة:

نجد في الإدارة الوضعية أن الفكر المكيافيللي هو السائد، فالغاية تبرّر الوسيلة، وحيث إن الغايات فيها تحكمها الشهوات فإن الوسائل المتبعة لا تحكمها ضوابط الدّين وقيمه لمنهج الإدارة العلماني. بينما نجد الأمر على النقيض من ذلك في الإدارة الإسلامية حيث تخضع للضوابط الشرعية، فالوسائل لها أحكام المقاصد في الشريعة الإسلامية. وعليه فإن الوسائل المتبعة يجب أن تكون مشروعة للوصول إلى الغايات المشروعة في هذه الحياة الدنيا، وهي جزء من هدف أكبر في الحياة الأخرى وهو رضا الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة والنجاة من النار.

(د. حزام بن ماطر بن عويض المطيري أستاذ الإدارة العامة المشارك، رئيس قسم الإدارة العامة كلية العلوم الإدارية، جامعة الملك سعود موقع جامعة الملك سعود).

مكونات الفكر الإداري الإسلامي:

القيم والأخلاق مكون رئيس في المشروع الحضاري الإسلامي، فهي العماد الثاني بعد توحيد الله عز وجل، وتأصيل معاني القيم والأخلاق، هو السند الرئيس للقيام بدور الخلافة الذي شرَّف الله به الإنسان، وقد حاول البعض التهوين من شأن القيم والأخلاق متصوراً أن التقدم العلمي والأداء الصحيح يمكن أن يتحقق بدونهما، فالإسلام يدعونا إلى التقدم العلمي متحصنين برسالته التي تقوم على القيم والأخلاق والأخوة الإنسانية. ويثبت لنا الزمن صحة ما ذهب إليه المنهج الإسلامي، فقد أشار تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي في أكتوبر ٢٠٠٣ إلى أن السبب الرئيس لفشل خطط التنمية في إفريقيا يرجع إلى سوء التربية الأخلاقية والدينية للقائمين

على إدارة عملية التنمية بها.

فالإسلام قد عالج جميع قضايا الإنسان، ووضع الحلول الحاسمة لجميع مشكلاته وأزماته وكان من أهم ما عُني به القضايا السياسية والإدارية العامة؛ لأنها ترتبط بحياة المسلمين ومصيرهم، فوضع لها القواعد والأسس العامة ولم يتعرض للتفاصيل الشكلية.

وتعد هذه ميزة متفردة للإسلام، فقد ثبت أن ما عدا الأسس والمباديء من تفصيلات أمر خاضع للاجتهاد والرأي والتبديل والتغيير كلما اقتضت الضرورة ذلك. وبهذا تكون الإدارة في الإسلام قابلة لأن تأخذ أشكالاً كثيرة تبعاً لاختلاف الأحوال وتبدل الأطوار الاجتماعية المتعاقبة. وفي محاولة لتأصيل البحوث الإدارية من منظور الفكر الإداري العربي الإسلامي والوقوف على الأسس والأساليب التنظيمية التي تكفل التوظيف المعاصر للتراث الإداري العربي الإسلامي، عقد مؤخراً بالقاهرة المؤتمر العربي الرابع، للمنظمة العربية للتنمية الإدارية.

وقال د. محمد التويجري المدير العام للمنظمة: إن فكرة انعقاد هذا المؤتمر تنطلق من فهم وإدراك أن بناء المجتمع العربي الحديث يتطلب الالتفات إلى جانبين أساسيين هما: القيم والمفاهيم، والخبرة المتمثلة في التراث الحي من جهة والأفكار الحديثة من جهة أخرى، فالفكر الإداري العربي الإسلامي يمكن أن يكون مصدراً أساسياً لوضع مفاهيم ونظريات في الإدارة تستوعب واقع المجتمع العربي والإسلامي وتستشرف آماله، مع ما يحمله هذا من إمكانية أن يسهم ذلك في إغناء الفكر العالمي بمبادئ ونماذج إدارية جديدة.

من لي سواك؟

شعر
آية أسامة وهبي
عضو إتحاد أدباء السودان

شـطّ المـزار فلـلنـوى أتـألم ... أبـدي الـهـوى حـيـنـاً وحـيـنـاً أكـتـم
وبـدا الـوصـال مـن المـحـال وشـفّـني ... بـعْـد الأحـبّـة كـيـف أصـبـر عـنـهـم؟
رحـلـوا فـشـقّ عـلـى الـفـؤاد رحـيـلـهـم ... في بـعْـدهـم كـل الأطـايـب عـلـقـم
أدمـيـت قـلـبـك والأحـبّـةُ مـا درَوا ... صـمـوا وعـن هـذي المـحـبـة قـد عـمـوا
فـدعـي الـتـذكـر والـهـيـام ويـمـمـي ... حـيـث الـخـلائـق يـا مـلـيـحـة يـمـمـوا
آتـيـك يـا أم الـقـرى مـشـتـاقـةً ... فـإذا وصـلـت لـذي الـحـلـيـفـة أُحـرم
وأطـوف بـالـبـيـت الـعـتـيـق ذلـيـلـةً ... مـن ذلّ يـا ربـي إلـيـك مـكـرم
وأقـبـل الـحـجـر الـكـريـم وأنـثـني ... لـك بـالـسـجـود هـنـاك أنـفـي أُرغـم
يـاربّ هـل في الـلـوح عـنـي أنـنـي ... يـومـاً عـلـى خـيـر الـبـريـة أقـدُم
وأزور روضـتـه الـشـريـفـة بـل أرى ... قـبـر الـحـبـيـب عـلـيـه ثَـمّ أسـلِـم
مـن جـاء بـالـخـيـر الـعـمـيـم إلـى الـورى ... مـن ضـلّ أو مـن بـالـهـدى مـسـتـعـصـم
جـيـشٌ مـن الـهـمّ الـمـضَـن يـزورني ... في ظـلـمـة الـلـيـل الـمـخـيـف عـرمـرم
فـأظـلُ أشـكـو لـلـمـهـيـمـن بـرحـه ... يـعـتـادني الـدمـع الـسـخـيـن المـسـجـم
يـا ربِّ ألـهـمـنـي الـهـدايـة والـتـقـى ... مـن لي سـواك إذا الـعـرى تـتـفـصـم؟
مـن لي إذا نـادى المـنـادي واسـتـوت ... هـذي الـخـلائـق لـلـحـسـاب وأسـلـمـوا؟
مـن لي إذا جـاز الـصـراط مـكـبـراً ... قـومٌ رأوا درب الـفـلاح فـيـمـمـوا
وتـعـثـرت رجـلـي هـنـاك بـمـا سـعـت ... في غـيّـهـا تـجـنـي الـذنـوب وتـأثـم؟
وهـنـاك أزلـفـت الجـنـان لأهـلـهـا ... هـذي جـنـان الـخـلـد فـاحـيَـوا وانـعـمـوا
وبـدت جـهـنـم لـلـعـصـاة فـلا تـرى ... غـيـر الـلـهـيـب عـلـى المـدى يـتـضـرم
قـالـوا أعـيـدونـا نـمـجـد ربـنـا ... ونـطـيـعـه في أمـره ونـعـظـم
أولم تـكـونـوا قـد عـلـمـتـم قـبـل ذا ... وأتـاكـم الـذكـر المـبـين المـحـكـم؟
قـالـوا عـلـمـنـا ثـم فـارقـنـا الـهـدى ... يـا لـيـتـنـا كـنـا نـعـي أو نـفـهـم
أسـفـوا هـنـاك ولات حـيـن تـأسـف ... نـدمـوا الـغـداة وهـل يـفـيـد تـنـدُم؟
إني أعـوذ بـذي الجـلال وحـلـمـه ... مـن أن أكـون إذا بـعـثـت كـمـا هـم
مـا لي سـواه فـمـن سـواه يـعـيـنـني؟ ... أمَـن سـواه بـمـا أكـابـد يـعـلـم؟
أمَـن لـه هـذا الـوجـود مـسـبِّـحٌ؟ ... أمَـن يـجـيـب المـشـتـكـي أو يـرحـم؟
لـطـفـاً بـحـالي يـا كـريـم وداوني ... أجـزل إليّ فـأنـت نـعـم المـنـعـم
خـذني إلـيـك فـبـي لـقـربـك حـاجـةٌ ... وامـنـح فـؤادي الأمـن فـهـو مـتـيَـم
وامـسـح ذنـوبـي الـسـالـفـات جـمـيـعـهـا ... أنـت الـعـفـوُ عـن الـعـبـاد الأكـرم

السويدي سيبستيان بلاسكو
يروي قصّة إسلامه..

استكهولم
د. خلف الله محجوب - مراسل الضياء

عندما قرّر السويدي سيبستيان بلاسكوالمتخصّص في الاقتصاد الدولي والمتخرّج من الجامعات السويدية والأمريكية أن يروي لي قصّة إسلامه لأنقلها إلى القراء العرب والمسلمين دعوته إلى الغداء وأعترف أنني كدت أبكي أثناء اللقاء لأمرين أولها أنني إزددت يقينا بعظمة الإسلام وقدرته على إخراج الحيّ من الميت، خصوصا وأنني رأيت أمامي شابا سويديا أخذ من الإسلام كل عظيم والتزم به وحافظ على الإيجابيات المتوفرة في حضارته

كما أنني بتّ أبكي عندما قال لي أنّه عندما بدأ يهتم بالإسلام ويبحث عن الدين الإسلامي وبدأ يميل إليه قال في قرارة نفسه الإسلام لا يختلف عني وعن مسلكيتي كثيرا، فأنا أعاشر أصدقاء مسلمين معي في الحيّ في الثانوية وهم يزنون مثلما أزني ويشربون الخمرة مثلما أشرب الخمرة ويذهبون للمراقص مثلما أذهب أنا أيضا إلى المراقص إذن كما قال سيبستيان إذا كان الأمر يتعلق بالشهادتين فسوف أقر بهما وانتهى الأمر عند هذا الحدّ، وتلفظت بالشهادتين لكنني عندما تعمقّت في الدراسات الإسلامية وأدركت أن الشهادة بأن الله واحد وأنّ محمدا رسول الله وخاتم الأنبياء منهج حياة ومسلكية حضارية والتزام ديني، أدركت كم فرطّ هؤلاء المسلمون الذين كنت أعيش بين ظهرانيهم في دينهم خصوصا بعد ما اجتاحتهم شهوات الغرب وأنستهم معنى الإلتزام الديني، ورغم كون سيبستيان خريج كلية الاقتصاد في جامعة لوس أنجلوس.

درس سيبستيان بلاسكو في أرقى الجامعات السويدية والأمريكية، فقد درس في السويد الإقتصاد الإجتماعي ثمّ أتمّ دراساته العليا في أمريكا في مجال الإقتصاد الدولي وإدارة الأعمال، وقد كان معه هذا اللقاء حول اكتشافه للإسلام...

كسويدي وغربي كيف كانت حياتك قبل أن تتعرّف إلى الإسلام!

حياتي في السويد قبل الإسلام كانت ضائعة وبدون هدف، فقد كنت عديم الاتجّاه كالسكران الذي لا يعرف له وجهة مطلقا، لم يكن لي أدنى هدف في الحياة، لقد كنت أستسهل الذنب وأفعل كل ما يريده جسدي المادي وكل ما تمليه عليّ شهواتي، وكنت على الدوام أسترسل وراء نزواتي وشهواتي في كل السياقات المحرمة، ولم أكن أهتم بوجودي كإنسان، بل لم أكن أتساءل لماذا أنا موجود على هذه الأرض بالأساس..

كنت عبدا للشهوات إذن!

لقد كنت أعيش في مستنقع الذنوب والموبقات وبدل أرقى بإنسانيتي إلى الدرجات العليا فقد تدحرجت إلى أسفل سافلين في قعر الذنوب والخطايا، والحمد لله الذي أنقذني من براثن الذنوب وأخرجني من هذا العالم الشهواني المادي إلى عالم التوحيد والنور، فالحمد لله الذي خصّني بهذه النعمة العظيمة أن قادني إلى الإسلام الذي بفضله أصبح لي هدف ومنهج ومسلكية في الحياة، قبل إسلامي كان تصوري أوفلنقل اعتقادي أنّ الحياة التي نحياها هي حياة واحدة غير متصلة وغير ممتدة بأي حياة أخرى، ولذلك كان في تصوري السابق أن أعيش هذه الحياة المقطوعة عن أي تواصل بكل ملذاتها وشهواتها وأن أرخي العنان لشهواتي باعتبار أنّ هذه الحياة لا تتكررّ، وبطبيعة الحال وبفضل الإسلام أدركت أنّ هذه الحياة المؤقتة متصلة بحياة أبقى وأخلد، لقد أجابني الإسلام عن كل التساؤلات التي كانت تجول في خاطري وأخرجني من دائرة الحيرة إلى دائرة الإستقرار والطمأنينة...

لكن كيف توصلت إلى حقيقة الإسلام!

لقد قادني إليه البحث والدراسة، ويجب أن أعترف أنّ وجود بعض المسلمين معي في أقسام الدراسة جعلني أبحث عن سرّ التمايز بيننا، وكان هذا سببا لبداية بحثي عن المدلولات القرآنية وماذا يقول القرآن الكريم، وكنت على الدوام فضوليا أن أستزيد من معرفة الإسلام، وشرعت في التعمق والبحث عن كل ما له علاقة بالإسلام، وهذه البحوث التي قرأتها هيأتني أن أستقبل الإسلام نفسيا وأشعر تلقائيا أنني متجاوب فطريا ونفسيا وعقليا مع تعاليمه فقررت أن أسلم، لكن هذا الإسلام النظري لم يقنعني بتاتا، فقد أسلمت لكن بدون أن أمارس الشعائر الدينية، فقررت أن ألتزم بالإسلام نظريا وتطبيقيا فبدأت أؤدي الصلاة وأصوم وما زلت كذلك إلى أن أموت.

عندما استوعبت تفاصيل العقيدة والشريعة الإسلامية، ألم يؤثرّ عليك بعض المسلمين في

الغرب من الذين ينتمون إلى الإسلام شكلا ويتجافون عنه عملا وسلوكا؟

صحيح جدا، كنت على الدوام أقول لماذا يفرط المسلمون في دين رائع ومتألق وديناميكي كالإسلام، وربما بالنسبة إليّ فقد إستوعبت مبدأ أنّ الإسلام شيئ والمسلمون شيئ آخر، لكن بقية الغربيين يحاولون فهم الإسلام من خلال سلوك المسلمين في الغرب، فإذا كانت هذه المسلكية خاطئة قرن الغربيون بين الإسلام وبين هذه المسلكية الخاطئة وعدّوها من الإسلام، لكن إذا كانت مسلكية المسلمين في الغرب في إيقاع واحد مع تعاليم الإسلام الحضارية والراقية فإنّ ذلك سيساهم في تقديم رؤية رائعة وجيدة عن الإسلام، وشخصيا ما زلت أذكر كيف أنّ رجلا مسلما أثرّ في إلى أبعد الحدود فقد كنت أرى فيه الإسلام مجسدا على الأرض.

صحيح أنني عاشرت بعض المسلمين الذين كانوا لا يختلفون مطلقا عن السويديين في مسلكيتهم الحياتية من استهتار بالذنوب والمعاصي، لكني وعندما بدأت أعاشر الملتزمين بدينهم أدركت كم أنّ الإسلام عظيم وكم هو جميل ورائع ومتألق أيضا، وهذه العشرة الطيبة دفعتني إلى مزيد من الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية.

وأعتقد جازما أنّ أنسب طريقة لنشر الإسلام في الغرب هي أن يعي المسلمون في الغرب أنّ إلتزامهم بالإسلام الحضاري سيعكس جمالية الإسلام وهذا من شأنه أن يدفع الغربيين لاعتناق الإسلام لأنّهم يبنون نظريتهم عن الإسلام بناء على ما يرونه في حياة المسلمين وتصرفاتهم في الغرب وليس بناء على ما يقرؤونه..

جوابك هذا يقودني إلى سؤالك عن مستقبل الإسلام في الغرب، وكيف ترى هذا المستقبل؟

المستقبل لهذا الدين الإسلامي، وأتصور أن مستقبل الإسلام في الغرب وفي العالم مشرق للغاية، إنّ كل الإحصاءات والدراسات في الغرب التي إضطلعت بها مؤسسات ضليعة في البحث والاستقصاء تبيّن أنّ الإسلام هومن أكثر الديانات نموا وانتشارا في أوروبا وغيرها وأنّ نموه وانتشاره سريع للغاية، وفي نظري فإنّ تقويم مسلكية بعض المسلمين في الغرب سيساهم في نشر الإسلام الصحيح...

كما أن تقديم الإسلام بشكل حضاري وبالصياغة التي يستوعبها العقل الغربي من شأنه أن يسرّع في أن يصبح الإسلام سيدّ المعادلة في الغرب...

كيف كانت ردّة فعل عائلتك وأقربائك عندما أصبحت مسلما ملتزما؟

في الواقع أن عائلتي استقبلت إسلامي بإيجابية كبيرة، ولم أجد رد فعل معاكس من قبلهم، نعم كانوا يطرحون عليّ أسئلة في هذا السياق عن الإسلام وثقافته وأنا كنت أجيب على الدوام وأحاول إيصال الفكرة الصحيحة إليهم، وأنا أحمد الله كون أهلي استقبلوا إسلامي برحابة صدر، ودعني أقول لك أنّ هناك أسراً إسلامية في الغرب لا تريد لبنيها أن يلتزموا بالإسلام وهم يرفضون جملة وتفصيلا أن يكون أحد أعضاء الأسرة ملتزما كلية بالإسلام...

وفي السياق ذاته كيف ترى ما قامت به جريدة يولاند بوستن الدانماركية التي أساءت إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام؟

قمة السخافة، وأوج الإستهتار بالمقدسات، فالجريدة ورسوماتها ساقطة لا محالة.

ما هي الآليات المثلى لنشر الإسلام في الغرب؟

المسلمون في الغرب أقليّة، يجب أن تنظّم هذه الأقلية نفسها، من خلال أن يرقى المسلمون إلى مستوى دينهم وأن يتعاطوا جديا مع دينهم وأن لا يدعوه وراءهم ظهرياً، فيجب أن يجعلوا القرآن أمامهم وخلفهم وعلى جوانبهم، وأينما داروا يجب أن تكون وجهتهم الإسلام، وهذا الارتقاء إلى مستوى الإسلام سيشكّل أفضل وسيلة لنشر الإسلام بإذنه تعالى في الغرب..

ويجب على المسلمين في الغرب أن يفكروا في تملك وسائل الإعلام من إذاعات وتلفزيونات وجرائد، لأنّ ذلك سيسهم في تقديم صورة ناصعة عن الإسلام، عكس الصورة التي يحرص بعض الناس على تقديمها عن الإسلام، وتملك المسلمين لوسائل الإعلام في الغرب أمر متاح ومباح في نفس الوقت .. وللإشارة فإنّ الغربيين لديهم فضول كبير لمعرفة الإسلام، وأنا شخصيا قبل إسلامي لم تكن لديّ تلك المعلومات الكافية عن الإسلام، ربما معلومات عامة، فلوكان للمسلمين وسائل إعلامية في الغرب ربما لأمكنني أن أصبح مسلما باكرا..

ومثلما سيؤثّر التزام المسلمين في الغرب على الغربيين ويجعلهم يبقون على هذا الإسلام، فكذلك الأمر بالنسبة للمسلمين في العالم الإسلامي الذين يجب أن يتركوا الاختلافات المذهبية والتقاتل والتخاصم والصراعات الدائمة المذهبية والسياسية، لأنّ وحدتهم وقوتهم ستجعل الغربيين لا يتسهينون بالإسلام وأمة الإسلام . وقد تخصصّ الإعلام الغربي في ملاحقة مثالب المسلمين ونقائصهم وصراعاتهم ويضخمها ليحرّف الرأي العام في الغرب ويقدم الإسلام على أساس أنّه قرين للتخلف والديكتاتورية والفقر والأمراض وما إلى ذلك...

وبصياغة غربية بسيطة فإنّ الإسلام هودين العقل والمنطق، والعقل البشري عندما يتجرد عن الايديولوجيا يكتشف تلقائيا عظمة الإسلام...

وأنت شخصيا ماذا أعطاك الإسلام؟

لقد أعطاني الله بالإسلام ذلك الشيئ الذي كنت أفتقده في حياتي وكنت أتمناه على الدوام، لقد عرفت من أنا وإلى أين وكيف ولماذا وما إلى ذلك من التساؤلات، لقد أرجعنى الإسلام إلى إنسانيتي وفطرتي وروحي ونفسي، لقد أدركت بالإسلام سرّ الحياة وسرّ الوجود وسرّ الممات وبعد الممات، وبعد أن كنت عبثيا شهوانيا استرجعت هويتي الإنسانية بفضل الإسلام..

مِنْ تراث المغاربة بفرنسا:
مسجد باريس الكبير
مَعْلَمَةٌ إسلامية للحوار مع الآخَر

بقلم:
محمد إفرخاس (المغرب)
باحث في التراث الإسلامي

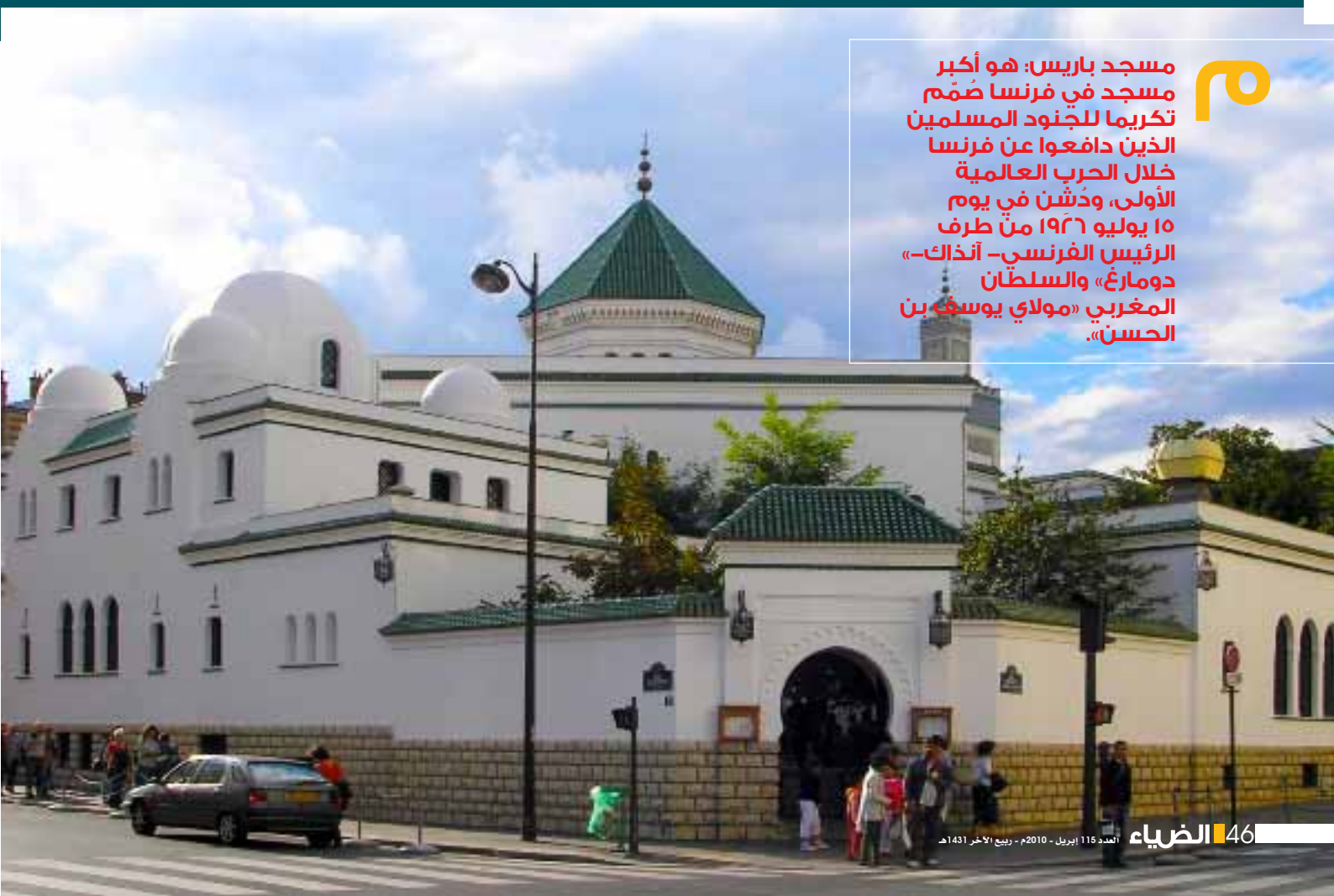

مسجد باريس: هو أكبر مسجد في فرنسا صُمّم تكريما للجنود المسلمين الذين دافعوا عن فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، ودُشّن في يوم ١٥ يوليو ١٩٢٦ من طرف الرئيس الفرنسي- آنذاك- «دومارغ» والسلطان المغربي «مولاي يوسف بن الحسن».

وكان العلاّمة سكيرج-رحمه الله- من أوائل الأعلام المغاربة المدعوّين لحضور تدشين هذا المسجد في صيف عام ١٩٢٦م، وهو الذي خطب وصلّى بالناس في أوّل جمعة أقيمت فيه، حيث اجتمعت لمعاينة تدشينه شخصيات بارزة من مختلف بقاع المعمورة، يتقدّمهم السلطان مولاي يوسف ابن مولاي الحسن-رحمهما الله-.

وقد نظم الشيخ أحمد سكيرج أبياتا شعرية نقّشتْ داخل وخارج المسجد، منها:

ما كتب على الركن الأيمن من الباب الأعظم:

يا قاصدا نحوي قف وقفة
وانظر إلى صنعي بعين اللبيب
ونزّه المقلة في بهجتي
وما تجلّى من جمالي المهيب
فإنني للحسن مستكمل
ينشرح الصدر بشكلي العجيب
وكل ذي رأي مصيب يرى
أنّي قد فقت بصنع غريب
يكفي الذي قد جاءني زائرا
نصر من الله وفتح قريب

وكتب وسط الباب:

إن هذا مسجد للمسلمينا
فتحت أبوابه للعابدينا
مسجد أسس في باريز ما
مثله من مسجد للناظرينا
مسجد أنحاؤه زادتْ سنى
وسناء يزدهي طول السنينا
فبه الأفكار تزهو دائما
وبه البشرى لكل المؤمنينا
مسجد قد حاز شكلا جامعا
لجميع الحسن بين العالمينا

وكتب في مدخل المسجد المفروش:

ادخل إلى هذا المقام فإنه
بيت الصلاة وطاعة الرحمان
فإذا دخلت وجدت قلبك حاضرا
متيقّنا بالفوز والغفران

ويضم المسجد مقهى رائعا يقدم الحلوى الشرقية، ومكتبة عامرة، وقاعة لتناول الشاي، ومطعما مزخرفا على نمط المطاعم في بلاد المغرب العربي، وحمّاما، ومتجرا للهدايا. وعندما يكون الجو جميلا فإن الساحة المفروشة بالبلاط الأزرق والأبيض تَعُجُّ بالزبائن الذين يرتشفون الشاي بالنعناع ويقضمون حلوى البقلاوة المشبعة بالعسل...

يحاول مسلمو باريس النهوض بمساجدهم في العاصمة الفرنسية، بمساعدة بلدية باريس التي تمد لهم يد العون ضمن الحدود المرسومة

و يحاول مسلمو باريس النهوض بمساجدهم في العاصمة الفرنسية، بمساعدة بلدية باريس التي تمد لهم يد العون ضمن الحدود المرسومة في قانون العام ١٩٠٥ الخاص بتنظيم أسس العلمانية في فرنسا.

ويقول (حمو بوعكاز) مستشار الشؤون الإسلامية لرئيس بلدية باريس الاشتراكي برتران ديلانوي: (تقوم سياستنا على مبدإ أن لكل فرد الحق بأنْ يعيش وفق قناعاته في باريس)، مضيفا: إن الإسلام يقدم مساهمة ثقافية جديرة بالاحترام.

ويلزم قانون العام لسنة١٩٠٥م - الذي أرسى الفصل بين الدين والدولة- بلدية باريس بترميم الكنائس والمعابد والكنس التي بنيت قبل صدوره، لكنه يمنع بالمقابل المعاملة عينها للمساجد التي لم تكن موجودة في العاصمة الفرنسية آنذاك.

ويقول بوعكاز: (يجب تطبيق القانون بذكاء)، مضيفا: إن بلدية باريس تستعمل صلاحياتها في إطار دعم الثقافة لمساعدة مسلمي العاصمة الفرنسية على إيجاد أبنية لائقة لممارسة شعائرهم.

وبات المسلمون في باريس يقيمون احتفالا خاصّاً كل عام بمناسبة شهر رمضان.

وقدمت بلدية باريس ٨٠٠ ألف يورو لترميم مسجد باريس الكبير المصنَّف من ضمن التراث الوطني الفرنسي.

وتعود بدايات التواجد العربي الإسلامي في الأراضي الفرنسية إلي عام ٧١٦م، عندما اجتازت أول مجموعة من الجنود المسلمين جبال البرينيه مخترقة الحدود الفرنسية الإسبانية وفتحت مدينة ناربون، التي تم تحويل كاتدرائيتها إلى مسجد هُدّم فيما بعد،وفي عام ٧٢١م: توغّلت القوات الإسلامية بقيادة السمح بن مالك إلى مشارف مدينة تولوز الفرنسية،وهزمت

مسجد باريس يعتبر تاريخيا من أقدم المؤسسات الإسلامية الممثلة للمسلمين في فرنسا حيث تأسس عام ١٩٢٦

القوات الفرنسية المدافعة عنها بقيادة الكونت أود الفرنسي.

يقول ترنيزيان: إسلام فرنسا خرج من الأقبية في إشارة إلى المساجد التي كانت تقام في أقبية المباني لتصبح المساجد تحتلّ الأماكن العامة.

ويمثل الجزائريون - بشكل عام - أغلبية الجالية المسلمة بفرنسا بتعداد يقدر بـ٨٠٠ ألف نسمة، يليهم المغاربة ٦٠٠ ألف، ثم التونسيون ٥٠٠ ألف، والأتراك ٢٠٠ ألف، ثم يأتي ترتيب الأفارقة جنوب الصحراء واللبنانيين المسلمين.

وبهذا المعنى لا يمثل الفرنسيون المسلمون وحدة قومية ولا لغوية، وهو ما يفسر وجود حوالي ٢٠٠٠ جمعية إسلامية مختلفة الجذور الثقافية والمذهبية والأصول الجغرافية؛ فهذا التعدُّد برز بشكل لافت أثناء تأسيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية؛ حيث حاول وزير الداخلية تمثيل ١٥٠٠ مسجد إضافة إلى ٦ جمعيات كبرى، هي:

- اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا: الذي ينظم سنويا مؤتمره المعروف بالبورجي، وتأسس عام ١٩٨٢ ويعتبر - إيديولوجيا - مقرَّباً من تيّار الإخوان المسلمين، ويتميز بقوة بنائه التنظيمي؛ حيث يبسط سيطرته على ٣٠٠ جمعية، أبرزها الشبان المسلمون، وذراع طلابية في الجامعة تسمى (الطلبة المسلمون).

- مسجد باريس: ويعتبر تاريخيا من أقدم المؤسسات الإسلامية الممثلة للمسلمين في فرنسا حيث تأسس عام ١٩٢٦، وارتبط منذ بدايته بالجاليتين: المغربية والجزائرية بفرنسا؛ حيث يأتي تمويله من الجزائر، ويشرف عميد المسجد حاليا (دليل أبو بكر) على حوالي ٧٠ مسجدا آخر، ويقدم مسجد باريس أيديولوجيا على أنه ممثل للإسلام العصري المندمج مع الحداثة.

- الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا: تمثل أيضا الإسلام العصري، وتتكون أساسا من المهاجرين المغاربة، وتتلقّى دعما ماليًا من ملك المغرب، وتسيطر على بعض المساجد في ضواحي باريس وشرق فرنسا.

- جماعة الدعوة والتبليغ: بدأ نشاطها في أوساط المهاجرين الأوائل عام ١٩٦٨، ولعبت دورا مهمًا في الاتصال بالجيل الأول من المهاجرين، ويتركز نشاطها حاليا في الدائرة الحادية عشرة من باريس وخاصة في منطقة (بالفيل).

- لجنة تنسيق للمسلمين الأتراك في فرنسا: تعتبر تابعة لإدارة المساجد بوزارة الشؤون الدينية التركية، وتسيطر حاليا على ١٥٠ مسجدا، وأيديولوجيا تعتبر من طائفة (الميلي قروش) التركية الصوفية.

- الاتحاد الفرنسي للجمعيات الإسلامية في إفريقيا وجزر القمر وجزر الأنتي: تمثل جالية مهمة عدديًا، ولكنها غير منظمة، باستثناء بعض الجمعيات التابعة لها فإنها لا تسيطر على مساجد مهمة.

وإضافة إلى هذه الجمعيات الستة الكبرى: هناك ٥ مساجد ممثلة في المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وتتمتّع بثقل واضح، وهي: مسجد (مانت لاجولي)، والمركز الثقافي الإسلامي في إيفري، ومسجد ليون الكبير، ومسجد جنوب فرنسا الكبير (الإصلاح)، ومسجد سان دونيه دو.لا ريونيون الكبير.

ومسجد باريس: ليس مجرد مكان للصلاة كما هو الحال في العديد من الدول العربية والإسلامية، ولكنه صوت لا يهدأ في الدفاع عن الإسلام وصدّ حملات الإساءة المتكررة التي يتعرض لها... إنه مسجد باريس الكبير الذي يراه البعض المدافع الأول عن الإسلام في فرنسا.

وكان قد طالب مؤخرا السلطات الفرنسية بردٍّ حازم على حريق متعمد شب صباح الأحد (٢٠٠٨/٤/٢٠) في مدخل مسجد كولومبيه وألحق أضرارا بقاعة المدخل، وقال إمام المسجد دليل أبو بكر في بيان له: إن المسجد الكبير في باريس يدين بشدة حادث الحريق الإجرامي لمسجد كولومبيه. وقال: إن هذا الحادث الجديد الإجرامي وأيضا الرمزي يوضح بجلاء الاتجاه المعادي للإسلام الذي تُقْلقُنا مظاهره هنا وهناك. وأضاف البيان: نَنتظر ردًا حازما من السلطات العامة حتى يحافظ الإسلام الفرنسي على صفائه واتخاذ كل الإجراءات اللازمة؛ للإبقاء على هدوئه الحالي.

> المسجد ليس مجرد مبنى فقط، وإنما يؤسس نقطة ارتكاز مهمة لهوية أكثر من عشرة ملايين مسلم في فرنسا

اعتراف رسمي من الحكومة الفرنسية بمسجد باريس الكبير:

لفت المسجد أنظار الفرنسيين إليه بشدة عندما قام الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، بزيارة له أثناء حملته الانتخابية، وهو الأمر الذي تابعته وسائل الإعلام الفرنسية بصورة مكثّفة خاصة في ظل التقارير والموضوعات المطولة، التي تنقل بنشرها عن المسلمين بين الحين والآخر.

واكتسب المسجد دورا أكثر تأثيرا عندما بدأت الرئاسة الفرنسية في توجيه دعوة لإمامه لزيارة قصر الإليزيه بين الحين والآخر لمناقشة قضايا وهموم المسلمين، وهو ما جعل منه من الناحية الواقعية المحاور الشرعي الوحيد عن الجالية العربية والإسلامية في فرنسا. ويقوم المسجد بدور الوسيط مع الإدارة الفرنسية لإيجاد حلول سريعة لهذه للمشكلات العديدة التي يتعرض لها المسلمون بين الحين والآخر.

ويمارس المسجد هذا الدور منذ أن تم إنشاؤه عام ١٩٢٦، من ميزانية الدولة الفرنسية، وافتتح المسجد الرئيس الفرنسي - آنذاك - (دومارغ). ويعتبر مسجد باريس أول معلمة إسلامية تكفّلت الدولة الفرنسية ببنائه، إذ بدأت الأشغال به سنة ١٩٢٢ مباشرة بعد حرب «فيروان» سنة ١٩١٦ والتي توفي فيها حوالي ٢٨ ألف مسلم دفاعا عن فرنسا. وجاء بناء المسجد الذي يقع بالمقاطعة الخامسة من باريس، كامتنان وعرفان من الدولة الفرنسية للضحايا المسلمين، الذين حاربوا إلى جانب فرنسا.

وبحسب العديد من المراقبين، فإن المسجد ليس مجرد مبنى فقط، وإنما يؤسس نقطة ارتكاز مهمة لهوية أكثر من عشرة ملايين مسلم ممن يشكلون العدد التقريبي لمسلمي فرنسا، حيث يمثل الإسلام ثاني أكبر ديانة سماوية فيها. كما أن المسجد يمثل أول صرح إسلامي يتم تشييده بناء على قرار من حكومة أوروبية علمانية بعد الحرب.

أنشطة المسجد المتنوّعة:

الأنشطة العديدة التي يقدمها المسجد لزواره جعلت مسلمي فرنسا أكثر قربا من ربهم، حيث أظهر استطلاع للرأي في فرنسا نشرت نتائجه مؤخّرا: أن المسلمين فيها أصبحوا أكثر ورعا وتقرُّبا لربهم عن ذي قبل. وأظهر الاستطلاع أن نسبة ٧٠٪ من المسلمين في فرنسا يحرصون على الصوم خلال شهر رمضان مقابل نسبة ٦٠٪ في استطلاع عام ٢٠٠١.

من جهة ثانية، نشرت صحيفة (لو كرو) (الصليب) الكاثوليكية نتائج الاستطلاع، الذي أكدت فيه أن نسبة ٧٠٪ من المسلمين

عدد الجمعيات العربية والإسلامية في فرنسا يزيد على ثلاثة آلاف جمعية تغطي مناطق الحضور الإسلامي كلها

مؤمنون على مستوى العقيدة، وذكر ثلث المستطلعين أنهم يمارسون شعائر دينهم. كما ذكرت نسبة ٣٩٪ أنها تصلي يوميا في حين لم تتجاوز النسبة عام ٢٠٠١ نحو ٣٣٪، كما ارتفعت نسبة المسلمين الحريصين على صلاة الجمعة من ١٦٪ إلى ٢٣٪ خلال العام الماضي.

وبخلاف المسجد فإن عدد الجمعيات العربية الإسلامية في فرنسا يزيد علي ثلاثة آلاف جمعية ومنظَّمة مسجَّلة في الجريدة الرسمية الفرنسية، وتحمل صفة إسلامية في تسميتها، أما مجال نشاط هذه الجمعيات فهو متنوع ومختلف: فمنها ما ينشط على المستوى المحلّي، ومنها ما ينشط على المستوى القومي، ومنها نوع ثالث تغطي أنشطته مناطق الحضور الإسلامي كلها.

تكتُّلات إسلامية!:

يشار إلى أن هذه الجمعيات تدخل في إطار بعض التكتلات الإسلامية الكبرى مثل: (الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا، وجماعة التبليغ والدعوة، واتحاد المنظَّمات الإسلامية، وفيدرالية الجمعيات الإسلامية الإفريقية، والإتحاد الإسلامي الفرنسي الذي يضم الجمعيات التركية)، كما تضم هذه الجمعيات مثقفين وطلبة وناشطين سياسيين ينتمون إلى أقطار عربية وإسلامية عديدة، أو ربما ينتمون لدولة واحدة...

والسمة الغالبة على هذه الجمعيات والمنظمات الإسلامية أنها غيرُ مستقرَّة، فبعضها يظهر لفترة زمنية معينة ثم يختفي، دون أن يشعر باختفائه أحد، وربما تم إشهار منظمات وجمعيات إسلامية في فرنسا، وألغيت وأيضا لم يشعر بها أحد.

وبقدر ما هو مفيد جدًا هذا التنوع للجالية المسلمة بفرنسا، إلا أن ما يعاب على هذه الجمعيات الإسلامية تشتّتها. ولعل أبسط مثال على ذلك بحسب صحيفة العرب، ما حدث خلال احتفالات عيد الفطر الماضي، إذ استيقظ مسلمو فرنسا على ثلاثة تواريخ مختلفة لعيد الفطر، مما تَسَبَّب في بلبلة كبيرة في أوساط الصائمين الذين لم يتمكنوا من تحديد تاريخ نهاية رمضان ليستنجد المهاجرون في النهاية بما فعله أهلوهم في بلدانهم الأصلية.

وتأخَّرَ اعتراف فرنسا بالدين الإسلامي حتى ٢٨ يناير ٢٠٠٠م حيث اعترفت الحكومة الفرنسية بالإسلام كدين رسمي ضمن الأديان المعترف بها في فرنسا مثل المسيحية واليهودية، وهو ما اعتبر نقطة تحوّل هامة في تاريخ المسلمين في فرنسا.

تشرْذُمٌ وتفرُّقٌ:

مشاكل بالجملة تلك التي يعاني منها مسلمو فرنسا حيث لا يوجد حتى الآن تنظيم عام لهم، كما أنه ليس للمسلمين مدارس، وإنْ كان لهم بعض الأماكن التي يؤدّون فيها الصلاة، والبعض الآخر مغلق لاتهام بعض أفراد إدارته. كما أن أداء الصلوات والأنشطة التي يقوم بها المسلمون الآن في فرنسا تتم بمراقبة صارمة من السلطات الفرنسية... وظهر العداء والتعصب العنصري ضد المسلمين من خلال اعتداء بعض المتعصبين الكاثوليك على المسلمين في أماكن عملهم، وطردهم من الوظائف التي كانوا يعملون بها، وتسريح المئات من العمَّال المسلمين، وبدأت حملات الاضطهاد تتصاعد يوما بعد الآخر داخل المصانع الفرنسية عن الفترة السابقة لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وزادت أشكال العنصرية ضد المسلمين في أغلب المدن الفرنسية بصورة واضحة خلال السنوات الماضية، وظهرت بوضوح المشاعر العدوانية في وسائل الإعلام الفرنسية، حيث تعمَّدَتْ بعض الصحف والقنوات التليفزيونية تقديم صورة الإسلام بشكل يشوبه مغالطات عديدة وصورة مقلوبة وغير مطابقة لواقع الإسلام، ترتبط بالضغوط الصهيونية هناك والمسيطرة على قطاعات هامة في الإعلام، عن طريق الجالية في فرنسا، وهم يرصدون تحركات المسلمين في كل شيء.

المسلمون في فرنسا:

صرح الدكتور عبد المجيد النجار مدير مركز البحوث والدراسات بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية بباريس في تصريحات لـ(إسلام أون لاين نت) أن المسلمين في فرنسا أقلية داخل مجتمع غالبيته علمانيون، وبالتالي فمعنى (الإسلام الشمولي) الذي يتبناه مسلمو البلاد العربية والإسلامية لا مجال له في بلاد الغرب.

وأوضح النجار أن (إسلام الحياة الخاصة أصبح في الأعمِّ بديلا عن الإسلام الشمولي لدى الأقلية المسلمة في فرنسا؛ فالهامش الأكبر لممارسة التدين بالنسبة لهذه الأقلية هو هامش الحياة الخاصة للفرد والأسرة، إلا أن هناك هامشا أقل بروزا للإسلام في الحياة الاجتماعية، ولهذا السبب بالذات طرح تطوير فقه الأقليات كأولوية في الدراسات الإسلامية).

وأضاف: (إذا أردنا الخروج بنتيجة محددة، فإننا نستطيع القول بأن تضخيم الخطر الذي يمثله حضور المسلمين في فرنسا، وبيان أن الأمر أصبح يتعلق بخطر على علمانية الدولة لا يعدو في الحقيقة إلا أن يصب في تيار الإسلامفوبيا (الخوف من الإسلام) الذي اجتاح الرأي العام الغربي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١).

وخلافا لرؤية الكاتب الفرنسي ترنسيسان

التي اعتبر فيها أن عدد المسلمين بالنسبة للمجتمع الفرنسي لا يشكل تأثيرا فيه، قال (التهامي إبريز) رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا في تصريحات لـ(إسلام أون لاين.نت): (عدد المسلمين في فرنسا يؤهلهم لأنْ يأخذوا مكانتهم كاملة غير منقوصة في الجمهورية).

وأوضح إبريز أن (المسلمين يمثلون الديانة الثانية بعد المسيحية الكاثوليكية التي يدين بها ٤٣ مليونا؛ أي أنهم يسبقون البروتستانتيين البالغين ٨٠٠ ألف واليهود (٧٠٠ ألف) والبوذيين (٤٠٠ ألف)).

وأضاف أن (ما يزيد من أهمية الفرنسيين المسلمين أنهم يمثلون في أوروبا القوة الديمغرافية الأولى مقارنة بمسلمي ألمانيا البالغ عددهم ٣ ملايين نسمة، ومسلمي بريطانيا (مليونان)، ومسلمي أسبانيا (٦٠٠ ألف)، وهولندا (٤٠٠ ألف)، وبلجيكيا (٢٠٠ ألف).

لكن إبريز قال: (إن حضور الفرنسيين المسلمين سياسيا واجتماعيا لا يعكس حجمهم عدديا؛ فهم على هامش الحياة السياسية، وبالتالي لا نتوقع أن يكون لهم تأثير في المدى القريب على القرار السياسي الفرنسي؛ حيث إنهم منقسمون مذهبيا وعرقيا بحيث لا يمكن أن يمثلوا كتلة متجانسة من شأنها مثلا أن تحدد خيارا انتخابيا على سبيل المثال).

وأضاف أن (المسلمين ما زالوا يبحثون عن مكان لهم داخل المؤسسات السياسية والاجتماعية الفرنسية، ولم يتسنَّ لهم تكوين مجلس يمثلهم أمام السلطات الفرنسية إلا مؤخّرا).

من ناحيته قال عمار الأصفر -إمام مسجد ليل بشمال فرنسا، رئيس جمعية ابن رشد: (إن محاولة تكوين حزب سياسيّ يمثل مسلمي فرنسا باءتْ بالفشل، ولم يفطنوا إلى ضرورة تكوين مؤسسات تعليمية ثانوية خاصة بهم على غرار المدارس الخاصة اليهودية إلا سنة ٢٠٠٨).

وأضاف الأصفر في تصريحات لـ(إسلام أون لاين نت): (أمامَنا عمل كبير وطويل لتحقيق وجود نوعيّ ينقل الفرنسيين المسلمين من وضعية ذلك المهاجر الأميِّ الذي يمتهن الأعمال الشاقَّة وصولا إلى تحقيق وجود كوادر في مؤسسات الدولة الثقافية والسياسية والاجتماعية).

الحجاب في فرنسا:

دعَتْ عدة مؤسسات إسلامية في فرنسا، على رأسها عمادة مسجد باريس الكبير،

أهمية الفرنسيين المسلمين أنهم يمثلون في أوروبا القوة الديمغرافية الأولى مقارنة بمسلمي ألمانيا البالغ عددهم ٣ ملايين نسمة

الطالبات المسلمات وعائلاتهن إلى الالتزام بالقوانين المحلية واحترام علمانية المدارس الرسمية الفرنسية.

وجاء في بيان صادر عن مسجد باريس الكبير ولجنة التنسيق بين المسلمين الأتراك في فرنسا، والفيدرالية الفرنسية للجمعيات الإسلامية الإفريقية وتلك التي أسَّسها مهاجرون من جزر القمر والإنتيل: إنَّ على الطالبات تجنب كل أشكال الاصطدام مع إدارات المدارس.

وكان البرلمان الفرنسي قد صوّت على قانون يمنع طلاب المدارس الحكومية من ارتداء ما يعتبر علامات فارقة ذات مرجعية دينية أو فلسفية. ويندرج تحت هذا المنع غطاء الرأس الذي ترتديه فئة من الطالبات المسلمات في فرنسا.

يذكر أن الجهات التي أصدرت النداء هي الأكثر انفتاحا بين المؤسسات الإسلامية الناشطة في أوساط الجاليات العربية والإفريقية المهاجرة، وأن هناك جمعيات ومؤسسات أخرى، أكثر تشدّدا، وتتخذ موقفا سلبيا من قانون منع الحجاب الإسلامي في المدارس.

معهد الإمام الغزالي التابع لمسجد باريس الكبير:

أُنشيءَ معهد لتكوين الأئمة تابع لـ (مسجد باريس) سنة ١٩٩٣، وقد أُسندتْ مهمة

معهد الغزالي بمسجد باريس يمثل بطول تجربته العلمية أساساً فعلياً لتدريس العلوم الإسلامية بفرنسا

إدارة هذا المعهد للدكتور الصديقي جلّي، وهو خرّيج باريس مزدوج اللغة – وقد أدار هذا المعهد لعدّة سنوات ليخلفه فيما بعد د. بكري عبد الكريم من جامعة وهران، المنتدب خصّيصا لإدارة هذا المعهد لمدة ٥ سنوات، وانتهت مهمة انتدابه ليعود إلى جامعة وهران – ويحلّ محله د. صديقي جلّي على رأس هذا المعهد، في وثبَته الجديدة بعد أن عزّزه بإطارات علمية من خارج المسجد، وهم ينتمون لعدّة أقطار عربية وخاصّة من تونس.

ويقول دليل بو بكر عميد مسجد باريس: إنّه طبقا للمبادئ التي مَهّدتْ إلى تأسيس مسجد باريس سنة ١٩٢٦ فإنّ الجانب التربوي لهذه المؤسسة كان من الواجب أن يظهر جليّا في وظائف المعهد.

إنّ الخصوصية الباريسية لمسجد باريس، والتطلّعات الواضحة لمسلمي باريس الذين وجدوا في ذلك مساعدة من مختلف الوزارات الراغبة في تشجيع مثل هذا التكوين، قادتنا لمثل هذه الحاجيات، لذلك وكّلت السيد جلول صديقي عناية تكوين لجنة تربوية ووضع حيّز العمل في مختلف الإمكانات لتحقيق غايتين: تكوين عقد إسلامي وتدريس الحضارة للمسلمين وغيرهم....

لقد وجّه دليل بوبكر نداء إلى الشباب والفتيات لاغتنام هذه الفرصة، والمشاركة بفاعلية في جهود هذا المعهد، المنشغل بمستقبلهم، والمنخرط في الدور الأساسي الذي يتحمّله مسجد باريس.

ويقدم لنا جلول صديقي مدير معهد الغزالي بمسجد باريس الكبير قراءة تحليلية لآفاق هذا المعهد وبرامجه وطموحاته، والمواد العلمية التي يقدّمها لطلاب المعهد قصد تخريج جيل جديد من الأئمة متفتحين على ثقافة عصرية، ومتفتحين على كامل الثقافات، انطلاقا من رؤية إسلامية لأئمة المسلمين في الغرب، وبذلك يؤدي هؤلاء الأئمة رسالتهم في خدمة الإسلام في فرنسا، ويقدّمون صورة الإسلام منيرة للشعب الفرنسي من خلال جيل مسلّح بثقافة إسلامية معاصرة، تراعي واقع وظروف المسلمين في فرنسا واحتياجاتهم إلى أئمة قادرين على توصيل الرسالة للشباب المسلم في المهجر باللغتين الفرنسية والعربية.

ويقول د. جلول صديقي عن برامج (معهد الغزالي بمسجد باريس الكبير): يمثل (معهد الغزالي) بطول تجربته العلمية أساسا فعليا لتدريس العلوم الإسلامية بفرنسا، وذلك على مستويات: نوعية المضمون، ومنهجية التدريس، فكان منذ تأسيسه يقوم بمراجعات مستمرة للمضامين وتجديد للأساليب المنهجية، وقد تمّ إثراء البرنامج بجملة مواد رئيسية تتعلق بالحضارة الغربية عامة من حيث الأصول الفلسفية والمكونات الاجتماعية، وبتاريخ فرنسا وبنيتها الفكرية ومؤسساتها الدستورية خاصة.

انفتاح المعهد على مختلف الجامعات الفرنسية:

المعهد منفتح على الجامعات الفرنسية مثل (جامعة السّوربون) العريقة وغيرها، وقد تمّ فعلا إبرام اتفاقية شراكة بين (معهد الغزالي لمسجد باريس الكبير) وبين جامعة باريس (٨ سان دوني)، واتفاقية تعاون مع معهد العالم العربي بباريس، أمّا على صعيد الجزائر، فقد أبرم المعهد اتفاقا مشتركا مع كل من جامعتيْ الجزائر وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بالإضافة إلى جامعة «أدرار»، واستطاع معهد الغزالي لمسجد باريس الكبير أن يمدّ جسور التعاون مع تونس ولبنان، فقد تعهدت الحكومة التونسية عن طريق سفيرها في باريس على إعطاء المعهد منحا للدراسة تسمح لطلبة هذا المعهد بقضاء فترة دراسية بإحدى الجامعات التونسية المتخصصة، وأبدى شيخ الأزهر استعداده للتعاون مع المعهد، وكذلك بالنسبة للمملكة العربية السعودية، ونأمل أن يتأكد ذلك عمليا لدعم المعهد وبرامجه.

جهود مشتركة لمسجد باريس والمعهد الكاثوليكي لتدريب الأئمة:

تتوحد جهود مسجد باريس الكبير والمعهد الكاثوليكي في العاصمة الفرنسية لتوفير التعليم الجامعي لأئمة المساجد لتقوية التيار الإسلامي المعتدل، والمساعدة على دمج الأئمة المسلمين الذين ولدوا في الخارج في المجتمع الفرنسي.

وقال لرويترز مسؤولون من الجانبين: إن المعهد الكاثوليكي في باريس - وهو معهد خاص - سيقدم منهجا دراسيا على فصلين دراسيين، في السياسة الفرنسية والقانون الفرنسي والعلمانية في يناير كانون الثاني، لكل من يطمح لأنْ يصبح إماما من طلبة المعهد الديني في المسجد الكبير.

وحاولت فرنسا منذ عقود دعم تدريب أئمة المساجد. ورفضت جامعة السوربون والجامعة العامة في باريس تولي المهمة لأنهما وجدا فيها انتهاكا قانونيا للفصل بين الكنيسة والدولة.

وصرح فرانسوا مابيل عميد المعهد الكاثوليكي بأن أساتذة من كلية العلوم الاجتماعية والاقتصادية هم الذين سيقومون بتدريس المنهج الذي لن يتطرق إلى أيّ مواد دينية.

وقال: (لا نشعر بأننا مطالبون بتدريب الأئمة دينيا فهذه مسؤولية المسجد الكبير. والطلبة سيدرسون منهجا في العلوم السياسية عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والجمهورية الفرنسية).

وقال دليل أبو بكر إمام المسجد: (إن هذا

تحديث هام في التعليم الإسلامي هنا، ويقدر الطلبة عدم تضمين المنهج أي تعليم ديني بل يقتصر فقط على العلوم الاجتماعية).

ويعيش في فرنسا خمسة ملايين مسلم يشكلون أكبر أقلية مسلمة في أوروبا، وطالبت فرنسا منذ فترة طويلة بتدريب الأئمة المقيمين فيها في محاولة لدمج ثاني أكبر طائفة دينية في المجتمع وتحصينها ضد التّشدّد الإسلامي القادم من الخارج.

وهناك نحو ١٢٠٠ إمام في فرنسا يؤمون الصلاة ويقدمون النصح للمؤمنين في شؤون الدين والدنيا دون تدريب رسمي، ولا يحمل ثلاثة أرباع هذا العدد الجنسية الفرنسية بل إن ثلثهم لا يتحدث الفرنسية.

وتشعر الحكومة الفرنسية بالقلق من تبنّي هؤلاء الأئمة أفكارا متشددة يكتسبونها في بعض الأحيان خلال دورات تدريبية قصيرة في دول إسلامية مثل السعودية ويعودون لنشرها في فرنسا.

وأدار اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا مدرسة صغيرة للأئمة على مدى ١٥ عاما، لكنَّ الحكومة الفرنسية قلقة من آرائه الأكثر محافظة، وتفضل العمل مع المسجد الكبير الأكثر اعتدالا الذي يلقى دعما جزائريا.

هناك نحو ١٢٠٠ إمام في فرنسا يؤمون الصلاة ويقدمون النصح للمؤمنين في شؤون الدين والدنيا دون تدريب رسمي، ولا يحمل ثلاثة أرباع هذا العدد الجنسية الفرنسية

المصادر والمراجع:

صحف ومجلات فرنسية:

صحيفة الفيغارو:
http://www.lefigaro.fr

صحيفة اللوموند:
http://www.lemonde.fr

صحيفة لو ماتن الجزائرية:
http://www.lematin-dz.net/accueil/

صحيفة لو تريبون الجزائرية:
http://www.latribune-online.com/

وكالة الأنباء الفرنسية:
http://www.afp.com/home

مجلة باريس ماتش:
http://www.parismatch.com/parismatch

مجلة لو إكسبرس:
http://www.lexpress.fr

مجلة تيمبريل:
http://tempsreel.nouvelobs.com/

مجلة لو بوان:
http://www.lepoint.fr

مجلة لي انسروك:
http://www.lesinrocks.com

مجلة لا شيرش (الخاصة بالبحوث والاكتشافات العلمية):
http://www.larecherche.frhttp://www.santemagazine.fr/

مجلة لو سوار البلجيكية:
http://www.espaces.qc.ca
http://www.lesoir.be/splash.html
http://www.pariscope.fr/spectacles/
http://www.clap.qc.ca

مجلة ماروك ايبيدو(أخبار المغرب العربي الأسبوعية):
http://www.maroc-hebdo.press.ma/
http://www.auto-moto.com/

ماذا يريد منك ابنك؟

سليمه الحمادي
موجهة تربوية – كاتبة إماراتية صحفية

يفكر الآباء والأمهات دائما في: ماذا يريدون من أبنائهم؟ وتدور معظم حواراتهم فيما بينهم أو بينهم وبين أصدقائهم وأقاربهم حول هذا الأمر، ولكن هل استوقف أحدهم هذا السؤال: ماذا يريد منا أبناؤنا؟ ربما يبدو السؤال غريبا أو منسيا ولكنه في حقيقة الأمر ضروري، قد يقودنا التفكير فيه إلى تكوين علاقة إيجابية مع أبنائنا تحدد علاقتنا بهم مستقبلا.

وفيما يلي بعض الأمور التي يريدها منا أبناؤنا:

أن نحترم أفكارهم وآراءهم وأقوالهم ومناقشاتهم، ولانسفهها مهما كانت بسيطة وتلقائية.

أن نكتم أسرارهم وأن يشعروا بأن الحوار بيننا وبينهم خاص، خاصة في أمورهم التي يعتبرونها سرية بحيث لاتكون مادة للنشر في كل مجلس مع الأصدقاء والأقارب مما يعطيهم الإحساس بالثقة والرغبة في الحوار الدائم معنا.

أن لانتضجر منهم عندما يعبرون لنا عن مشاكلهم ومواقفهم اليومية

وأحداثهم التي مرت بهم.

أن نتفهم بأنهم بشر يخطئون وقد تكون أخطاؤهم صغيرة أو كبيرة ومتكررة.

أن نكون منصتين بدرجة ممتازة، قادرين على الاستماع إليهم دائما وخاصة في الأوقات العصيبة.

أن يشعروا بأننا قادرون على فهم واستيعاب مشاعرهم وأحاسيسهم وآرائهم.

أن نكون أول الأشخاص الذين يمكن أن يلجؤوا إليهم في حل مشاكلهم، وأن يلمسوا فينا القدرة على مساعدتهم لحلها، وأن يحسوا بوقفاتنا معهم دائما في أزماتهم.

أن نكون صادقين معهم في القول والوعد.

أن يشعروا بأنهم مهمين في حياتنا.

أن لانبخل عليهم بأوقاتنا، ويشعرون بأن لهم الأولوية دائما مهما بلغت مشاغل الحياة.

أن يكون المرح والمزاح واللعب جزءاً نقدره في علاقتنا بهم.

أن لانذكرهم دائما بأفضالنا عليهم وبشكل مباشر وممل ومتكرر ويومي، بحيث يصبح الأمر مثل الأسطوانة المكررة يوميا فينفرون منه ويأتي بنتائج عكسية.

أن نتقبل أشكالهم فلا نسمعهم التعليقات الساخنة حول أشكالهم وألوانهم وأصواتهم أو عاهات أو إعاقات قد تكون بهم أو .....، وأن نتحاشى ذكرها مع الآخرين خاصة أمامهم.

أن نشعرهم بحبنا لهم وأن نسمعهم كلمات الحب والمودة دائما .

أن نذكر مميزاتهم ونعلمهم كيف يكونون أفضل مما هم عليه بدلا من تذكيره الدائم بعيوبهم.

أن لايتشاجر الوالدان أمام أبنائهم ولايجعلونهم طرفا في الشجار والحكم.

أن نكون قادة نحسن تدريبهم وتعليمهم وتوجيههم وإرشادهم فهم لايحبون أن نتركهم لأنفسهم يفعلون مايريدون بل يحبون أن يشعروا بأنهم الأبناء ونحن الآباء الراشدين.

أن يشعروا معنا بالأمان والحماية.

أن نستخدم في أحاديثنا معهم ومع الآخرين الألفاظ والكلمات والعبارات اللائقة واللبقة ونبتعد عن الألفاظ الجارحة والمحرجة و النابية.

أن نتقبل أطباعهم ونحاول تدريجيا دون أن يشعروا تحسين السيء منها دون ترديد السيء منها يوميا لمجرد الترديد عند الغضب.

أن نتقبل قدراتهم العقلية كما وهبها الله لهم ونحاول تطويرها في حدود قدراتهم وإمكانياتهم إلى أقصى درجة تسمح بها إمكانياتهم ولانطالبهم بأكثر من مقدرتهم الحقيقية.

أن لانقارنهم بالآخرين وخصوصا بأصدقائهم ومعارفهم.

أن لانهينهم أو نحرجهم أو نسيء معاملتهم.

أن نتحدث عنهم بشكل لائق ومقبول أمام الآخرين.

أن نعلمهم كيف يؤدون المهام وليس أن نؤديها بدلا عنهم .

أن نكون متوافقين في أقوالنا وأفعالنا فلايشعرون بالتناقض بين أقوالنا وأفعالنا.

أن نواكبهم في معرفة التطورات التكنولوجية والثورة المعرفية.

أن نقتنع بمهاراتهم وقدراتهم إن كانت حقيقية وننميها.

أن نشاركهم اهتماماتهم ونسأل عن هواياتهم ونتابعها.

أن نكون علاقة طيبة مع أصدقائهم.

أن نشاركهم آلامهم وأفراحهم وإنجازاتهم.

لنعطي أنفسنا فرصة في التفكير في السؤال الذي طرحناه أولا وهو: ماذا يريد منا أبناؤنا؟ ونحاول توظيف بعض الأمور التي تساعدنا في الإجابة على السؤال لعل الأمور تكون أكثر ايجابية. فقط نعطي أنفسنا فرصة التجريب. فأبناؤنا يستحقون منا المحاولة .

اختاري الجمال
واربحي هذه المكاسب!

د. نجلاء محفوظ
- أستاذة في الدراسات الأسرية جامعة طنطا بمصر.
- باحثة وناشطة أسريه على مستوى الوطن العربي.
- داعية إسلامية.

هل سألت نفسك يوما: هل كان الجمال حلما من أحلامك؟ وهل احتفظت به وحولته إلى حقيقة رائعة متجددة، أم أنه تسرب من بين يديك.

أكاد أسمع إجابات كثيرة تراوغ صاحباتها للهروب من تحري الأمانة الكافية وهي شرط للوصول إلى علاقة رائعة الجمال.

فبدون تمتع الإنسان عامة والمرأة خاصة بعلاقة وثيقة مع الجمال، يرضى عن نفسه بها ويتصالح مع مظهره، يصبح هناك خلل ما في الحياة، يصعب معه التمتع بكافة مباهجها المشروعة.

إذن لا صحة للقول بأنه يكفي جمال الروح، فلا بد من أن يقترن سويا: جمال الروح بجمال الشكل ليشكلا معزوفة جميلة تتنسم نغماتها المرأة فتتألق وتزدهر ولتحس بالرضا (الجميل) مما يمنحها جمالا إضافيا ومضاعفا، وينمو ويزدهر بالرغم من مرور الأعوام المتلاحقة.

وقد اعترف أطباء التجميل أن الحياة الراضية السعيدة تمنح صاحبها جمالا طبيعيا أخاذا وتجعله أكثر مقاومة للتجاعيد وتمنحه دائما مظهراً أصغر بأعوام من سنه الحقيقي.

خطوات نحو الجمال

فإذا تنبهت إلى هذه الحقيقة وتمتعت بجمال الروح وما يتضمنه من التسامح الواعي الذي يحمي صاحبته من الأحقاد والمرارة ويجعلها لا تنسى أيضا، فلا تسمح لأحد بأن يكرر إيذاءها..

فضلا عن تمتعها بالانفتاح الجميل على الحياة وعدم التعصب للرأي واتساع الأفق ونبذ الجدال وترك الخصام لأتفه الأسباب والتجمل بالصبر الجميل على ما نكره، ليس من قبيل الاستسلام للأمر الواقع، فكما قال شيخنا الفاضل محمد الغزالي رحمه الله، فإن الصبر على ما يمكن تغييره يعد نوعا من البلادة، ولكننا نقصد الصبر على ما لا يمكن تغييره حاليا، ويحتاج إلى بعض الوقت إما لتغييره أو لتقليل آثاره الضارة إلى أقل ما يمكننا والتمتع بالذكاء الذي يقودنا إلى الاحتفال بذلك، بدلا من إهدار العمر في اجترار الألم على ما أصابنا.

ومن جمال الروح والشكل معا التمتع بالابتسامة الصافية التي تنير الوجه وتجعل العينين تبرقان بوميض رائع (يحرض) الآخريات على التسابق للتقرب من صاحبة الوجه المبتسم والفوز بقضاء أطول أوقات معها، فالابتسامة ترشح صاحبتها للعيش بذكاء والبعد عن التوقف عند الأمور التافهة (والقفز) عليها أولا فأول وتوسيع مساحات البهجة المشروعة في الحياة وأن تمتد الابتسامة لتشمل داخلها فتجعلها لا تخلد إلى النوم -في أغلب الليالي- إلا وهي في أحضان الرضا بالقضاء والقدر واليقين (الجميل) بأن الخالق العظيم يختار لنا الأفضل في كل أمورنا الحياتية ويقدره لنا في أحسن توقيت، لذا تنعم بالتسليم الحقيقي والرائع لتنجو بذلك من أخطار الوساوس، وتحمي وجهها من التجاعيد الزاحفة على النساء اللاتي يتركن للقلق والمخاوف والأحزان قيادة حياتهن.

وتتنوع مصادر جمال الروح، ونحتاج إلى الكثير لحصرها.. وللخلاص من هذا المأزق نقول إنه يكمن في اتباع صوت الفطرة السليمة، وتوخي رضا الخالق، واتباع خطوات رسولنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه الذي تمتع بجمال الروح والشكل معا.

امنعي تسرب الجمال

ونصل إلى جمال الشكل الذي يتسرب من بين أيدي معظم بنات حواء بعد الزواج وكأن لسان حال الواحدة منهن يقول: لقد فزت بالزواج وهذا يكفيني.. وتستريح نفسيا، وقد تبالغ في هذه الاستراحة فتهمل مظهرها وتتمادى في ذلك وتفيق على صدمات مؤلمة.

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن هو خيانة الزوج لها، أو زواجه بأخرى، وهذا أمر وارد بالطبع ويتكرر كثيرا وتكثر -عندئذ- صرخات الزوجة وشكواها من غدر الزوج.. و..

وهناك مواقف أخرى مؤلمة وهو استمرار الزواج ولكن مع إلقاء الزوج كلمات جارحة على مسامع زوجته، عند مشاهدته لجميلات الشاشة الصغيرة من مذيعات وفنانات، وبالطبع لا تصمت الزوجة، بل تلجأ إلى النيل من زوجها واتهامه بأنه السبب في التدهور الذي لحق بجمالها، فضلا عن معايرته بما طرأ عليه بعد الزواج من تغير في المظهر، أو طعنها في ذوقه أو أي شيء آخر، وتنشب مشاجرة، وتتكرر كثيرا لأن الزوج يدرك نقطة ضعف زوجته وهي شعورها بتناقص نصيبها من الجمال.

ويقودنا الذكاء هنا للتوقف عن توجيه (اللكمات) إلى الزوج واتهامه بكل ما هو سيئ ليكف عن تلك الكلمات الجارحة، والأفضل هو استبدال العمل على استرداد الجمال الضائع بدون أي تردد، فورا، والتخطيط المرن والواقعي للتخلص من الوزن الزائد، وإعادة الرونق للمظهر داخل البيت وخارجه أيضا، والسعي الجاد لاكتساب المظهر الشاب بطرق طبيعية عن طريق الماسكات الطبيعية وفقا لنوع البشرة، وعدم التكاسل عن ذلك بحجة أنه لا يوجد وقت لذلك، وأن النساء (المرفهات) هن اللاتي يمتلكن هذه النعمة الغالية.

فالحقيقة أن كل امرأة تستطيع الحفاظ على جمالها بأقل التكاليف وبالطرق الطبيعية، وذلك لا يحتاج إلى الوقت الكبير، وكل ذلك يعتمد بالأساس على توافر الرغبة (الحقيقية) لدى المرأة للحفاظ على رصيدها من الجمال والسعي -بجدية- وبلا مبالغة مرفوضة، لزيادته بأساليب طبيعية، وبطرق ذكية مثل ارتداء الأزياء المشرقة، وبعيدا بالطبع عن التصابي المرفوض، فلا بد من ملاءمة الزي للسن وللمكان الذي ستتوجه إليه، أما داخل البيت فلا حرج أن ترتدي ما تريد من ألوان التصميمات مع ضرورة الحذر من ارتداء الملابس المكشوفة خارج غرفة النوم، حتى لا يتسبب ذلك في إيذاء أولادها نفسيا، ولتحتفظ بهيبة الأم في أعين أولادها، ولتصون حرمة العلاقة الزوجية أيضا، كما أن ذلك يمنحها شيئا رائعا وهو عدم اعتياد زوجها على رؤية مفاتنها ليلا ونهارا، وهو ما يفقدها الجاذبية عند زوجها، وبالتأكيد هذا ما يثير ضيق أي زوجة، وعليها فعل كل ما يمكنها لتجنبه، فبالإضافة إلى التحفظ في ارتداء الملابس المكشوفة خارج حجرة النوم، يجب عليها أيضا التجديد في مظهرها، داخل البيت وارتداء ملابس شبابية التصميم وزاهية الألوان، ونبذ الألوان الغامقة التي تضفي عليها سنوات إضافية.

وعليها أن تكف عن الإهمال في تسريحة الشعر وضمه بأي صورة متعجلة، بل عليها التجديد في مظهر شعرها أيضا، والتفنن في اختيار شرائط وحلي الشعر بألوان مختلفة وأشكال مبتكرة، مع ضرورة عدم تغطية الشعر داخل المنزل، إلا مع وجود الغرباء ممن لا يجوز الكشف عن الشعر أمامهم، أما فيما عدا ذلك فلا بد أن تقوم المرأة -خاصة المحجبة- بكشف شعرها ليحصل على قدر كاف من التهوية اللازمة لصحته ولمنع تساقطه، وحتى لا تبدو في صورة غير جميلة، فالشعر كما يقال هو تاج المرأة.

ويجب المسارعة إلى صبغ الشعر بالصبغات الطبيعية أولا فأولاً منذ ظهور أول بوادر الشيب، وعدم التسامح مع ذلك، حتى لا تعتاد المرأة على مظهرها بالشعر الأبيض، ويتسلل إحساسها به إلى داخلها فتتصرف مع نفسها

وكأنها عجوز توشك على توديع الحياة، فتنسحب الحياة تدريجيا من داخلها، وتفقد الاهتمام بجمالها، فيتناقص رصيدها منه بأسرع مما تظن مما يلقي بالظلال السيئة على حالتها النفسية.

بدلا من المرارة

وأتذكر ما قالته لي سيدة عن شعورها البالغ بالمرارة عندما التقت صديقة سابقة بعد مرور أكثر من عشرين عاما على التخرج وسرعان ما (قارنت) بينها وبين هذه الصديقة ولم تأت المقارنة لصالحها، فقد تفوقت عليها الصديقة بصورة ساحقة، حيث بدت أصغر سنا وأكثر رشاقة، وأفضل من ناحية الثقة بالنفس ومن حيث الإقبال على الحياة وتحقيق الذات أيضا، على الرغم من أن الصديقة الجميلة ليست امرأة عاملة، أي أنها اهتمت بنفسها من أجل نفسها ولصالح زوجها ولتفوز بالمكاسب الدينية أيضا؛ فقد جاء في الحديث النبوي أن من ضمن صفات الزوجة الصالحة أن يسر الزوج إذا نظر إليها.

وأضافت: أشد ما آلمني هو تعليقات زوجي وأولادي حيث أكدوا على استحالة أن أكون أنا وهذه الصديقة من خريجي نفس العام وراحوا يتبارون هل أبدو أكبر منها بعشر سنوات أم بأكثر من ذلك، ولم يشعروا بمدى الجرح الهائل الذي أشعر به بداخلي، ورفضت على إثر ذلك محاولة هذه الصديقة القديمة لإحياء صداقتنا القديمة بالرغم من أنني كنت في حاجة إليها لثقتي في حسن أخلاقها ولأنها لم تتغير كما حدث لمعظم الصديقات.

وتواصل السيدة اعترافاتها فتقول: لقد أشفقت على نفسي من تجدد الجرح كلما قابلتها أو سمعت صوتها، كما فكرت أن الابتعاد عنها هو أفضل شيء سيجعلني أنسى ما حدث لي من ذبول بل وموت لجمالي، وتنهدت قائلة: وربما يجعل ذلك زوجي وأولادي ينسون أيضا.

ولهذه الزوجة ولكل من تفكر مثلها نقول: من المؤلم أن تشعري بهذا الإحساس، وبالطبع نحترم ألمك ونتعاطف معك، ليس من باب الشفقة ولكن من باب الدعوة لتغييره فورا وعدم الاكتفاء بالتباكي على ما حدث.. ولو قاطعت صديقتك فإن ذلك لن يحل المشكلة، فستلاحظين الجميلات في كل مكان، والحل الوحيد هو التشبث بالذكاء والبدء فورا في تخصيص بضع دقائق يوميا لإصلاح ما أفسدته بيديك، ولا تلومي أحدا، ولا حتى نفسك، فبدلا من إضاعة الوقت أو الجهد في لوم نفسك امنحي نفسك هذا الوقت، وتعويض ما فاتك بأسرع وقت، ولا تلتفتي إلى أي تعليقات (غبية) أو سخيفة قد تصدر من الزوج أو الأبناء، وتجاهليها تماما أو أوقفيها -بدون عدوانية- إذا ما زادت، وانظري إلى المرآة وتخيلي صورتك التي تحبينها وضعيها في ذهنك، واقتربي منها يوما بعد يوم قدر الإمكان، وتذكري دائما أن الله جميل يحب الجمال، وكل مخلوقات الله بها جمال فتان، فلم لا تنضمين إليها؟.

ولا تنسي أنه لا يوجد شيء يبقى على حاله، فإما يزيد أو ينقص، ولذا حافظي على زيادة نصيبك من كل من جمال الشكل والروح دائما ولا تقارني نفسك بالأخريات وافعلي ذلك من أجلك أنت ولأنك تستحقين أن تعيشي بأفضل صورة ممكنة، فلماذا تبخلين على نفسك بذلك، ولا تسمحي لنفسك بمخاصمة الجمال يوما واربحي دائما مكاسبه الرائعة ومنها تجدد الإحساس بالرضا بشرط عدم المبالغة في جمال الشكل والاهتمام أيضا بجمال العقل وتنميته بالقراءات والهوايات وبحسن تمضية أوقات الفراغ وبذا فقط تصبحين جميلة الجميلات في كل سن وتحت أية ظروف ويصبح الجمال اختيارك الدائم في كل مجالات الحياة.

هل التمثيل ضرورة؟

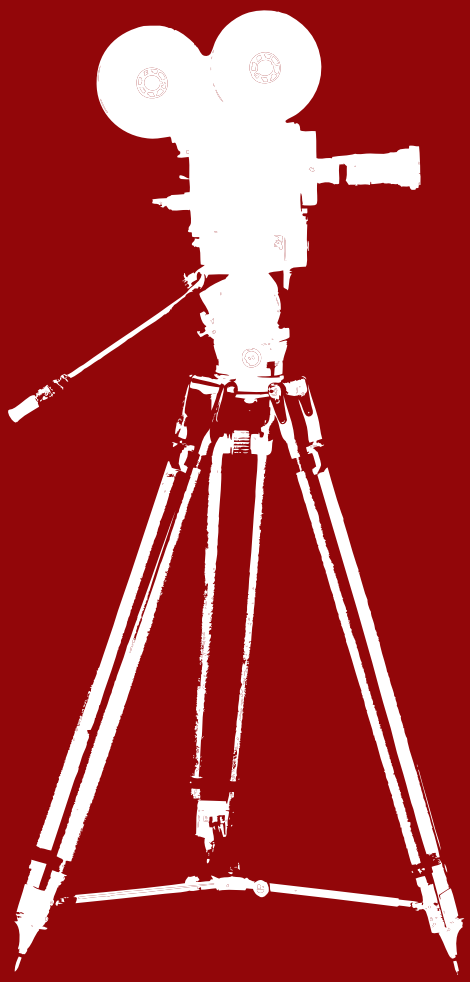

د. غازي مختار طليمات
• رئيس كرسي اللغة العربية بالعديد من الجامعات العربية في الوطن العربي
• عالم لغوي وعضو المجامع العربية للغة العربية

قبل أن تغزو قنوات الفضاء أسماع الناس وأبصارهم بالمسرحيات والمسلسلات كان الناس يمتعون أسماعهم بالإذاعات، وأبصارهم بالجرائد، فإذا تاقوا إلى التمثيل يممّوا شطر المسارح، أو قصدوا دور السينما. ولم تكن كلّ الموضوعات التي يعالجها المسرح أو تصوّرها السينما على حظ من النضج الفكري والسموّ الخلقي، يجعلها غذاء للنفوس المتشوقة إلى الفن الراقي والغذاء الصّحي.

إذْ كان فيها الرفيع والوضيع، والمفيد والضارّ، والجادّ والعابث. وكان على الإنسان أن يميز بالتخمين والحدس الثمينَ من البخس، وأن يتخير القليل القيّم من الكثير الرخيص ليجعله مهوى السمع والبصر، وغذاء العقل واللب، فكان يصيب جنباً ويخطئ أحياناً، لكنه لم يكن ينجو - ولو أحسن الاختيار - من أوشاب الأوصاب، وأقذاء الإغواء التي تخالط أنقى الموضوعات وأرقاها، وإمّا لطغيان النزوات والشهوات على المبادئ والقيم، ولغلبة الغرائز الدنيا على المثل العليا، وإما لأن المشتغلين بفن التمثيل كانوا على الربح أحرص منهم على التوجيه، فاتجّروا بما يروج، ونفروا ممّا ينفع.

واليوم، وبعد أن اجتاحت القنوات الفضائية سُوح الإعلام، واحتدمت بينها معارك التنافس للظفر بعيون البشر وآذانهم اضطر المشتغلون بالتمثيل إلى مواكبة التطور لئلا يجدوا أنفسهم في الساقة المنساقة وراء الركب، فزهدوا في الهزل، وقصدوا إلى الجدّ، ومالوا عن المتاجرة بالإغراء والإضحاك إلى تقديم الموضوعات التي تملأ العقول بالأفكار العميقة، والقلوب بالمشاعر النبيلة، فتلقت أكثر القنوات نتاجهم بالقبول، وأَوْلَتْه مكانة الصدارة فيما تقدم من برامج، وزهدت فيه القنوات الإسلامية، كأنها تقابل الشبهات بالورع، وتقاوم الخطر بالحذر. فلماذا رأته القنوات كلها أو جلها ضرورة لابُدّ منها، فتبنَّتْهُ ورعته، ورأته القنوات الإسلامية وحدها ضرراً فقاومته، وخطراً فخاصمته؟ وأيّ الموقفين أقربُ إلى التجريح والتسفيه، وأيهما أجدرُ بالتعديل والتنويه؟

إذا كان التمثيل ضرورة تنطوي على بعض الضرر، فما السبيل إلى إقصاء الضارّ وإبقاء النافع في هذا الفن الإعلاميّ الرائع؟

وإذا كان التمثيل ضرورة تنطوي على بعض الضرر، فما السبيل إلى إقصاء الضارّ وإبقاء النافع في هذا الفن الإعلاميّ الرائع؟

رأته قنوات الفضاء ضرورة لا مصرف عنها، ووسيلة إعلامية لا بديل لها، لأن

التمثيل أقدر وسائل التعبير عن التأثير، فقد أوتي من الكلام أجمله نسقاً وأفصحه نطقاً، ومن النبرات أقواها إيقاعاً وأرقاها إمتاعاً، ومن الحركات أرشفها وأحذقها، ومن الإشارات ألطفها وأرهفها، ومن المحاورات أبدعها تتابعاً وأنجعها ترافعاً، ومن تحريك الأحداث ما يبعث الميت حياً، والغابر حاضراً، ومن الوعظ بالقدوة والإرشاد بالأسوة ما يجعلك تعايش البطل وتناقشه، وتحالفه على ما يدعو إليه أو تخالفه. هذه المزايا ومزايا أخرى كثيرة أغرت قنوات الإعلام بالتمثيل، فجعلته الناطق الأفصح بمبادئها، والداعي الأول إلى أهدافها، فأبلغها مقاصدها بأقرب السبل، وأقصر الأزمنة، وحقق مآربها بلا مقاومة ولا معارضة.

إذا كان التمثيل مدججاً بكل هذه الأسلحة المتطورة، فلماذا لا تتسلح به القنوات الدينية في دفاعها عن الفضائل، ومقاومتها للرذائل، وهي تخوض معركة حاسمة، تنهزم فيها سهام الأمر والنهي، وتنبو سيوف الخطب، وتتكسر روح المحاضرات؟

نشر فضيلة الشيخ وهبي سليمان الغاوجي بحثاً عنوانه (التمثيل فتنة ومعصية)، علّل فيه منع التمثيل بعلل منها أن الممثل منافق ذو وجهين، وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً، فهو يمثل الخير مرة، ويمثل الشر مرة. ومنها أن التمثيل صنو الكذب، إذ يسمي الممثلين بغير أسمائهم، ويغير فطرة الله بالتقبيح والتحسين، ويتجرأ على عظماء المسلمين، فيتيح للأدنين أن يحاكوا الأعلين من الصحابة والتابعين، ومنها أن في التمثيل مالاً يبدد، ووقتاً يضيع في غير طائل، والنفع المرجو منه لا يعدل المال المبذول فيه، والضرر الناجم عنه. وهو نوع من الترف الساقط، وبدعة وثنية يونانية، لم يعرفها العرب قبل الإسلام ولا بعده، وفتنة لا تؤمن عواقبها، وميدان تبرز فيه النساء للرجال، يحاورونهم، ويشجعن من يشاهدهن من النساء على مخالطة الرجال، وحجاب المرأة في الإسلام أصل لا يمكن التخلي عنه. والإسلام يأذن باجتماع النساء والرجال في بيوت الله تعالى للعبادة وسماع العلم مع الفصل، ولا يأذن

إذا كان التمثيل مدججاً بأسلحة التطوير والتحديث فلماذا لا تتسلح بذلك القنوات الدينية؟

بالاختلاط ولا بالخلوة. والمسارح أبعد الأماكن عن العبادة، واختلاط الرجال والنساء فيها للتمثيل واقع، لا سبل إلى مجانبته.

وما أظنك، إذا كنت من أهل الورع، إلا ذاهباً مذهب الشيخ، معتقداً أن التمثيل كله بدعة ضارة، غير أن عالماً آخر أفتى بإباحته، وهو أستاذنا الشيخ مصطفى الزرقا، فقد أفتى ولم أظفر بنص فتواه - بإجازة التمثيل. وهذه الإجازة لم يرض عنها الغاوجي، فدعاه إلى العودة عنها سداً للذرائع التي قد يتذرع بها المفسدون، ليستبيحوا ما حرم الله.

توفي الزرقا -رحمه الله- قبل أن يعلن رجوعه عن فتواه، إما لأنه لم ير فيما أفتى به شيئاً يخالف الشرع، وإما لأنه آثر التسامح، وساير التطور، فرأى نفع التمثيل فوق ضرره، وحسناته أكثر من سيئاته، فأجازه مستنداً إلى أن الأصل في الأشياء الإباحة لا التحريم، والتبرئة لا التأثيم.

أفتذهب مذهبه، وتبيح التمثيل؟ وإذا ذهبت هذا المذهب فما الحجج التي تشفع بها رأيك لتقنع الناس بقبوله، وتحملهم على الأخذ به؟ وإذا لم يكن لديك دليل قطعي ولا دليل ظني، فهل لديك مسوّغ نفعي، يجعل ما رفضه الغاوجي مشروعاً عندك؟

حاول نفر من الداعين إلى إباحة الإخراج والتمثيل أن يجدوا أدلّة يبرهنون بها على صحة دعواهم، فأخفقوا، ولهذا مالوا عن الأدلة القطعية والظنية إلى المسوغات النفعية، فزعموا أن التمثيل أصبح ضرورة لا سبيل إلى تجاهلها وإغفالها، وأن الذين ينكرون جوازه من باب التقوى، لا يستطيعون أن ينكروا خطورة المسرح غير الإسلامي وقدرته على أن يقتحم عليهم أبوابهم وحصونهم. وإذا استطاع نفر قليل منهم اليوم أن يقهروه بالإعراض عنه، فهو قاهر أبناءهم غداً لما فيه من إغراء.

ولا يستطيع أحد من أهل الورع أو أهل البدع أن يتجاهل المسرح، وأن يتغافل عن سحره وأسره، لقد فشت فاشيته، وأصبح اجتثاثه من حياة البشر أمراً عصياً بعيد المنال. فإما أن نخلّي بينه وبين أبنائنا وبناتنا، يستحوذ على عقولهم وقلوبهم، ويغرس في نفوسهم رذائله الضالة المضللة، وإلا نسخر سحره للخير، ونجد قدرته في النفع، وتحوّله إلى فن رفيع، ومتعة راقية، ووسيلة ناجعة من وسائل التوجيه

إن العصر الحاضر سريع التطور، حافل بالبدع والفنون، وإذا كنا نؤمن بأن الإسلام قادر على أن يستوعب الحياة في كل زمان وفي كل مكان، فعلينا أن نثبت لأبنائنا قبل أعدائنا قدرتنا على التجدد، وعلى تمثل الظروف المستحدثة. فليس من مصلحة الإسلام والمسلمين أن نعالج التجديد بالتجميد، والتطوير بالتنفير، لأن إعراضنا عن الفنون المسرحية لن يوقف امتداد الفاسد منها، بل يشجعها على اكتساح الأسداد، واجتياح الأسوار، ولأن تحريمنا إياها قد يغدو ترويجاً لها. ومتى خرجنا من الميدان ملأه الفاسدون المفسدون، والفنُّ الرخيص - على تفاهته - سريعُ السراية شديد الغواية.

ليس من مصلحة الإسلام والمسلمين أن نعالج التجديد بالتجميد والتطوير بالتنفير

علينا أن نثبت لأبنائنا قبل أعدائنا قدرتنا على التجدد وعلى تمثل الظروف المستحدثة

لا الترفيه، والتربية والترقية، لا العبث والتسلية. فالنشاط المسرحي الذي يزداد مع تطور الحضارة المتسارع تطوّراً، ومع تحرر الحياة الغربية من القيم الخلقية تحرراً خطراً متربص بأبنائنا وبناتنا.. ولديه من المزايا والأسلحة ما يمكنه من ترجمة الأفكار وتحويرها، وتحريك العواطف الكامنة وتفجيرها، وملء الفراغ بالفساد أو بالرشاد. وقد يتمادى سلطانه على الناشئة، فيفرغ أعمارهم مما يجب أن يملأها، ويترعها باللهو المرذول، والعبث الماجن، وهو ماض في انسياحه وانديا حه سواء أظاهرناه أم نافرناه.

ولك أن تُجابه قنوات الفضاء الإسلامية بخلاصة توجز القضية، وترسم أمام المشرفين عليها طريقين، أو تخيرهم في اثنتين:

أولاهما: أن يتركوا هذا النشاط الفني العصري الساحر، يتفجّر في ساحة، يكتفها البغي من كل جانب، فإذا هو وافد من روافد الفساد والإفساد، ومورد يستقي منه جند إبليس، وتنبت حوله أشواك الرذائل، فلا تستطيع كل المحاضرات والمحاورات التي يبثّونها أن تقتلع شوكة واحدة منها.

والثانية: أن يحوطوا تفجّره بالرقابة الملتزمة التي تحسن توجيهه نحو الحق والخير، وتُجربه في مجراه الخلقي إلى غاية شريفة، وتسلكه في سلك الالتزام الصحيح، وفق منهج واضح مستمد من روح الإسلام لا من قوانين الإعلام. وما نظن المشرفين على القنوات الراغبين في الثانية عن الأولى، مرجحين التمثيل الواعي المثقل بالتبعة على التجاهل الساهي السادر في الدعة. وإذا صدق ظناً في السبيل إلى حماية التمثيل من الانزلاق، وإبعاده عن مهاوي الضلالة؟

للسبيل المفضي إلى هذه الغاية مرحلتان: أولاهما التحرر من قيود الغرب، والثانية انتهاج منهج عربي إسلامي في التأليف والتمثيل.

لقد جرّب أدباؤنا المسحورون بالفنّ الأجنبي والحضارة الأجنبية مناهج الغرب، فثبت لهم أن النفوذ الأجنبي زيّن لهم الباطل، وحبّب إليهم الانسلاخ من جلدتهم، فأخرجهم من دائرة التفكير العربي، وبغّض إليهم روح الإسلام، وحاصرهم بفكر غربي أغلق عليهم المنافذ التي تأتي منها نسمات الروح، فساغ في أفواه بعضهم أن يجتروا الأفكار الجليبة الغربية، فضاعفوا وضيعوا، أو ظلوا أغراباً عن الغرب الذي لم يعترف بانتمائهم إليه، وعن الإسلام الذي اختاروا الانخلاع منه، على نحو يشبه الردة الفكرية والفنية.

وهكذا لم يبق بدٌّ من عمل جاد دائب على انتهاج منهج عربي الروح إسلامي الفكر، يرد المضلَّلين إلى رشادهم، ويعيد الضائعين إلى موطنهم، وينفخ في هذه النفوس القلقة، وفي هذه الأزمة الفكرية والفنية روح الانتماء إلى الإسلام، ويعيد إلى الكاتب والممثل والمخرج نعمة التوافق مع أنفسهم بعد أن عانوا ما عانوا من التمزّق والانفصام في الشخصية، ويحق التكامل بين المثل العليا والحياة الدنيا، ويعقد المؤاخاة بين القلب العامر بالعواطف والرغاب والعقل المتوثب كل يوم إلى اكتشاف واختراع، ويلجم الشهوات بشريعة سماوية، ترغّب في الثواب، وترهب بالعقاب، وتعطي الشقي في دنياه أمل السعادة في أخراه.

ومن الإنصاف الاعتراف بأن الوصول إلى هذا المطلب يحتاج إلى التعاون على البّر والتقوى، أي إلى اشتراك ثلاثة أَفْرقاء: فريق الكتاب والمؤلفين، وفريق المخرجين والممثلين، وفريق المديرين والمشرفين على قنوات الإعلام، وجوهر التعاون هَهنا يرتدّ إلى الإيثار لا الأثرة، لأن استئثار فريق من الأَفْرقاء الثلاثة بالعمل يفسد العمل الإعلاميّ كله، ويعود على المسرحية بخلل فكري أو فني يعطّل وصولها إلى أذهان المشاهدين وقلوبهم. ولا يؤتي التعاون ثماره المرجوّة منه ما لم يُبْنَ على أساس واضح، وهو الحرص على نجاح العمل المسرحي في أداء رسالته، والنهوض بتبعته، لا ظهور فريق وضمور فريق. ويتحقق ذلك حينما يُستشار المخرج والممثلون في موضوع المسرحية قبل تأليفها وإعدادها، ويكتب الحوار بالأسلوب الذي يختاره المخرج، ويحسن أداءه الممثلون، وحينما تستشار إدارة القناة في تقسيم المسلسلات وتوزيعها على حلقات.

وبعد.. فإن التمثيل المسرحي إذا أنجز على ضوء المنهج الذي أشرنا إلى خطوطه الكبرى فسوف يثبت لمن كانوا يعارضون التمثيل أنهم كانوا يحرمون أنفسهم والمشاهدين أمتع الفنون وأرفعها، وأنجعها في التوجيه وأنفعها، وأن تعرُّف الجديد خير من رفَضه، وأن رفع البنيان على أساس الإيمان أجدى من دحضه ونقضه.

كاثوليكي المولد يتحول إلى مفكر إسلامي في الغرب

مراد هوفمان
الألماني المسلم

سمية خطاب
صحفية خليجية
somayasaad@hotmail.com

مراد هوفمان ولد سنة ١٩٣١ في مدينة صناعية تدعى أشافينبورغ (بفاريا) لدى أسرة ألمانية كاثوليكية وكان اسمه فيلفريد هوفمان. وحيث إنه تخرج من المدرسة الثانوية بامتياز حصل على منحة أمريكية للدراسة في كلية (Union) بنيويورك سنة (١٩٥٠-١٩٥١) شغل منصب مدير شؤون الدفاع في حلف الناتو- في مكتب الخارجية في بون ومدير المعلومات في المقر الرئيس للناتو في مدينة بروكسل. واخير عضو في مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي بعمان منذ عام ١٩٩٤

ما هي بداية حياتك العملية؟

تخرجت من جامعة ميونيخ – كلية القانون وحصلت على مرتبة الشرف من خلال تقديمي لأطروحة الدكتوراة بعنوان (انتهاك حرمة المحكمة في القانون الأمريكي والألماني) . وبعد أن عملت هناك كمدرس مساعد لمادة الإجراءات المدنية وكمحام صغير، حصلت على منحة دراسة بحثية من جامعة هارفرد - كلية القانون في كامبردج ولاية ماساشوسيتس الأمريكية (١٩٥٩-٦٠) والتي أتاحت لي الحصول على درجة جامعية في القضاء.

مادور المراة في حياتك ؟

المراة هي دائما شريك للرجل

وقد تزوجت من سيدة أمريكية التي ولدت لي ابناً (والذي يعمل حالياً لدى مصرف استثماري) ، وما لبثت أن توفيت من مرض السرطان.

وفي سنة ١٩٨٠ اعتنقت الإسلام وتزوجت من سيدة تركية في اسطنبول.

ما اهم المناصب التي تقلدتها؟

عملت كعضو في البعثة الألمانية الأجنبية العاملة في الجزائر خلال حرب استقلال الجزائر في الفترة ما بين ١٩٦١-١٩٦٤ تلتها مدير شؤون الدفاع في حلف الناتو- في مكتب الخارجية في بون

و مدير المعلومات في المقر الرئيس للناتو في مدينة بروكسل.

والسفير الألماني في الجزائر.و السفير الألماني في المغرب بالرباط.

ثم استلمت العمل في المجلس المركزي للمسلمين بألمانيا بمدينة كولونا، وبعدها بنك البوسنة الإسلامي الدولي بسراييفو. واخير عضو في مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي بعمان منذ عام ١٩٩٤.

وما الذي جذبك لدخول الإسلام؟

في حرب الاستقلال الجزائرية، و ولعي بالفن الإسلامي إضافة إلى التناقضات التي تواجه العقيدة المسيحية.

وبدأت اقرأ عن الإسلام وحصلت علي ترجمة للقرآن وقد قبلت بهجوم الكثيرين بعد إعلان إسلامي حاربتني الصحافة الألمانية محاربة ضارية

ولماذا النساء؟

لانهن يعتقدن أن الاسلام قمع واستعباد وتهميش

ولان الغرب دائما يحاول اظهار المسلمين في صورة مشوشة وخاصة عندما يستعرضون التاريخ دائما يقفزون ويتجاوزون المسلمين أمثال الغزالي وابن رشد وابن سيناء وابن خلدون

ما رايك بعد اختيارك في جائزة دبي؟

سعدت بها كثيرا وشعرت بالامتنان لأنني أول مسلم أوروبي غربي يتم اختياره ليتم تكريمه لأن الإسلام ليس دينا عربيا فحسب وإنما هو دين الله الذي ارتضاه للبشرية جمعاء.

ما دور القرآن في حياتك ؟

علاقتي بالقرآن مستمرة ودائما أقرأه حيث أجد في كل مرة جديدا واكتشافات مذهلة كثيرة تبين أنه الدين الحق كما انني أديت فريضة الحج مرتين واديت العمرة خمس مرات.

ما الذي قدمته للاسلام ؟

نشرت أكثر من ٢٥٠ مقالا في مراجعات الكتب في العالم الإسلامي، وفي المجلة الأمريكية للدراسات الاجتماعية الإسلامية (بواشنطن)، ومجلة أكسفورد للدراسات الإسلامية (في إسلام أباد)

قمت بإلقاء محاضرات في جميع دول الخليج العربي من الكويت إلى عُمان. كما قدمت محاضرات لقت إقبالا كبيرا في الولايات المتحدة وكندا واوروبا وشمال إفريقيا والهند وباكستان.

من هو صديقك المقرب؟

كان صديقي المقرب الداعية النمساوي محمد أسد اليهودي الذي أسلم المفكر الذي هجر دينه وثقافته واعتنق الإسلام والثقافة الإسلامية.. وإذا تأملنا تطور الفكر الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين فلن نجد في أوربا مثل محمد أسد ، من حيث إخلاصه في فهم الإسلام واستيعابه، وفي محاولة إيقاظ المسلمين، وفي بناء جسور بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي و توفي عام ١٩٩٤وبعد وفاته ١٥ عام قامت حكومة برلين بتسميه ميدان في العاصمة النمساوية باسمه. كما تم عمل فيلم باسمه مترجم بجميع اللغات وقمت فيه بالتحدث عنه ويعد الفيلم هدية من الغرب للإسلام .

كيف ينظر الغرب إلى وضع المرأة في الإسلام؟

من المؤسف أن الصورة سلبية لدى الكثيرين حيث يعتقدون أن الرجال يعاملون النساء معاملة الوحوش ولا يعرفون مظاهر التكريم الإسلامي للنساء وقد أكد البعض عن (قمع النساء)، منها انعدام المساواة بين الجنسين وأنه يتم قتل الأنثى فيما يعرف ب (جرائم الشرف) وغيرها من التصورات الخاطئة التي تكاد تصل بالمسلمات إلى درجة الاستعباد والقمع.

ويكفي أن نذكر أنه عقب هذه الأحداث أعلنت (لورا بوش) زوجة الرئيس الأمريكي السابق في حديث إذاعي بالحرف: (إن الحرب ضد الإرهاب هي حرب من أجل حقوق النساء وكرامتهن أيضا)، وهذا لم يأت من فراغ إنما نتيجة تصوير النساء بأنهن ضحايا لنظام اجتماعي مستبد بلغ من العنف درجة جعلت أغلب النساء في المجتمعات الإسلامية على غير وعي بحقوقهن.

في ظل تصاعد موجة العداء للإسلام كيف يمكن محاصرة هذه الكراهية للمسلمين؟

كان من السهل إلقاء اللوم على المسلمين في كل أمر سيئ يتصل بالإرهاب أو التطرف، وخاصة من الأمثله القليلة السئية التي يحاول الغرب إلقاء الضوء عليها وعلى الإسلام وأنه ديانة شريرة ومؤذية جدا ووصفوا الرسول بأفظع الصفات، والحق يقال إنه في ظل موجة العداء هذه كانت هناك مواقف معارضة لها من بعض الزعماء الدينيين المعتدلين حيث دانوا التعصب ضد الإسلام والمحاولات المستمرة لتشويه صورته بغير حق ويمكن عن طريق مثل هذه الآراء المنصفة محاصرة هذه الظاهرة التي تقوض السلام في العالم.

إذا كانت هذه هي الأسباب.. فما وسائل علاجها؟

البداية بالمحاولات الصادقة والجادة بطي صفحات الماضي وتصحيح الأخطاء التي أدت إلى تشويه صورة المسلمين، وللعلم فإن هذه ليست مسؤولية الغرب فقط بل أرى أن هناك مسؤولية على المسلمين أيضا بأن يحسنوا تقديم دينهم بأن يكونوا مسلمين بحق وينفذوا ما أمرهم به دينهم حتي يقدموا صورة مشرفة للإسلام بدلا من الوضع الحالي للعالم الإسلامي.

كيف ترى أفق التعامل المستقبلي للغرب في الوطن العربي والإسلامي؟

دعني أقول لك إنّ هناك عداءً، فكيف يكون التعاون مع وجود هذا العداء لذا لابد من التصحيح

وأن يعملوا بجد ليغيروا الصورة المشوشة عن المسلمين أولا في امريكا .

لان الأمريكان أكثر الغرب تدينا بينما الألمان أكثر الأوربين تعصباً.

كيف سيتم ذلك بصورة موضوعية وحيادية كما تقول؟

لابد أن يتم تحسين علاقة الغرب بالعالم الإسلامي عن طريق الاحترام المتبادل، والإصلاح الحقيقي في كل المجالات وخاصة السياسي والاقتصادي، وتسوية الصراعات، وأن يستمعوا إلى المسلمين وإرسال بعض الدعاة الي الغرب للتعريف بالإسلام والتعبير عن آرائهم بحرية واظهار الصورة الحقيقية للاسلام.

لحظة تأمل

شعر د. عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين أول في دائرة الشؤون الإسلامية بدبي

باسمكَ اللهمَّ أحيا وأموتْ ... أرني يا ربّ سرَّ الملكوتْ
أنت ربي، أنت عوني، أنت لي ... قوةٌ عظمى أمام الرهبوتْ
إن مَن يحيا بوهمٍ زائلٍ ... كان مغتراً بحبل العنكبوتْ
فاقصدِ الخالقَ والزمْ بابه ... فبباب الله تكميلُ النعوتْ
وافهمِ الكونَ وما في نطقه ... ربّ نطقٍ بالغٍ تحت السكوتْ
نظرةٌ واحدةٌ في كنهه ... غطّت القلبَ بأمواج الخفوتْ
مَنْ يكن يدري وقد أُلقيَ في الـ ... ـبحر "ذو النون" حَماهُ ثَمَّ حوتْ
مَن ترى آنسَه في بطنه ... أي شيءٍ كان للجائع قوتْ؟
جبروتُ الله لا يعجزه ... أيُّ شيءٍ فاعتصمْ بالجبروتْ
ورأيتُ الروحَ في محرابها ... سجدتْ لله يعروها القنوتْ
تبعتُ التسبيحَ لحناً خالداً ... وسواها في هوى الدنيا يصوتْ
بكَ يا ربي عُروجي، بكَ يا ... رب أحيا، بك يا رب أموتْ
(في بيوتٍ أذن الله لها) ... كنتُ مذ كنتُ ويا نعم البيوتْ
فالتفتْ يا قلبُ لله ولا ... تأسَ إمّا فات شيءٌ أو يفوتْ
ربما أُقصيَ حرٌّ ناصحٌ ... ودنا في غشه خبٌّ قتوتْ
ولعمري هكذا الدنيا وفي ... آخرِ الأمر فقد يعلو التحوتْ
هكذا كانتْ وما زالتْ وهل ... كان فيها الحالُ يوماً ذا ثبوتْ؟
والورى بين مطيعٍ شاكرٍ ... يذكرُ الله وإنسانٍ عنوتْ
ولهذا بعضُهم تحضنه ... جنةُ الخلد وبعضٌ برهوتْ
أنت إنْ فكرتَ فيها أولاً ... وأخيراً ستراها في أُموتْ
فانتفضْ واعملْ وثابرْ واجتهدْ ... أي خيرٍ تترجى في السبوتْ؟
واخزنِ القولَ وكنْ ذا حكمةٍ ... إنما الحكمةُ في قلبِ الصموتْ